بسم الله الرحمن الرحيم

دولة فلسطين

وزارة التربية والتعليم العالي

الحديث الشريف وعلومه

للصف الثاني عشر

فرع التعليم الشرعيّ

المؤلفون

د. حمزة ذيب مصطفى «منسقاً»

أ. فاطمة محمد قزاز

د. سعيد عبد الرحمن القزقي

أ. سائد عبد الريماوي

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»

قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين
تدريس كتاب الحديث الشريف وعلومه لفرع التعليم الشرعي ابتدءً من العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠١١

- **الإشراف العام:** **أ. علي شحادة مناصرة** / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

- **الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعيّ:**

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»
د. إسماعيل أمين نواهضة
د. حمزة ذيب مصطفى
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عيّاش

- **تحكيم علمي:** د. خالد خليل علوان
- **تحرير لغوي:** أ. رائد شريدة
- **الإخراج الفني:** أ. كمال فحماوي

الطبعة الأولى التجريبية
٢٠١٣م/ ١٤٣٤ هـ
© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي/مركز المناهج
مركز المناهج –حي المصيون–شارع المعاهد–أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة
ص .ب ٧١٩ – رام الله – فلسطين، تلفون ٢٩٦٩٣٥٠–٢–٩٧٠+ فاكس ٢٩٦٩٣٧٧–٢–٩٧٠+
الصفحة الالكترونية: www.pcdc.edu.ps – العنوان الالكتروني: pcdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من عَلِمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادينه كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة – الفرع الشرعي – فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاح هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي
مركز المناهج
الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية
نيسان ٢٠١٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد إمام الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن استن بسنتهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذا كتاب في الحديث الشريف، حرصنا على تأليفه لأبنائنا طلبة الصف الثاني عشر الشرعي، وقد راعينا فيما عرض فيه من موضوعات أن يتلاءم مع مستوى النضوج العقلي والفكري لأبنائنا من جهة، وما يتسم به ديننا الحنيف من يسر من جهة أخرى؛ فقدمنا المعرفة بأسلوب سهل ميسر، يحفز العقول للتفكير والتحليل والتركيب، ويربط المعرفة بواقع الحياة.

وقد التزمنا المنهج العلمي في شرح ما عرضنا من أحاديث شريفة، وما أوردنا إلا ما ثبت عن الرسول ﷺ.

وقد حرصنا أن يكون في المنهاج صقل لشخصية الطالب، وتنمية لمعارفه وقدراته ومهاراته وملكاته الذاتية، وقد حرصنا على تجنب الأسلوب التقليدي في شرح الحديث، وحرصنا أن يخرج الطالب بحصيلة جيدة من الأحاديث الشريفة حفظاً وفهماً.

وقد اجتهدنا في ربط الأحاديث بواقع الحياة بأسلوب ومنهج وسطي لا إفراط فيها ولا تفريط.

وكلنا ثقة بحرص المعلمين على ذلك، فبجهودهم وخبراتهم وإخلاصهم تتحقق الفائدة وتعم.

وقد تضمن الكتاب وحدتين:

الوحدة الأولى: الحديث الشريف (حفظ وشرح)، وقد تضمنت موضوعات عديدة، كالتقليد والاجتهاد، والدعوة إلى اليسر، وبعض القضايا والمسائل الاجتماعية؛ كالسعي على الأرملة والمسكين، ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة والأيتام، وآداب الاستئذان، والتحذير من بعض الأمراض التي تفتك بالقلوب كالنفاق، وبعض المسائل المتعلقة بالمعاملات؛ كالنهي عن الربا، والغش، كما تحدثت عن عدل الله تعالى وفضله ورحمته، وعن بعض المسائل المهمة في الجهاد.

الوحدة الثانية: الحديث الشريف (شرح)، شملت أحاديث في مواضيع متعددة؛ كالتوبة، والرفق، والسنة الحسنة، واجتناب الكبائر، والزهد، وحفظ اللسان، والنذر، وحرمة تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وفضل الرباط والجهاد، وأهمية الوصية، والحض على مكارم الأخلاق، والتحذير من الفرق الضالة، وفضل بلاد الشام، وختمت بفضل ذكر الله تعالى.

وقد تناولنا الأحادي الشريفة شرحاً وبياناً، معرّفين براوي الحديث، مع بيان ما ورد من معانٍ لغوية واصطلاحية، والفوائد الفقهية والتربوية ثم استنباط ما ترشد اليه الأحاديث.

وإننا إذ نطرح هذا الكتاب بين يدي أبنائنا الطلبة، وإخواننا المعلمين، لنرجو أن يكون في ملحوظاتهم حول ما فيه من موضوعات، إثراء يساهم في تطويره وتحسينه، فهذه نسخة أولى تجريبية، بذلنا فيها مجهودنا، فإن كان في ذلك إحسان فمن الله تعالى، وله الحمد والثناء الحسن، وإن كان غير ذلك، فمنا ومن الشيطان، والله ولي الغفران، وإياه سبحانه وتعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن ييسر تحقيق أهدافه.

والله ولي التوفيق

المؤلفون

المحتويـات

الفصل الدراسي الأول			
الوحدة الأولى الحديث النبوي الشريف (حفظ وشرح)	الدرس ١	التقليد (حفظ وشرح)	٢
	الدرس ٢	الاجتهاد (١)	٦
	الدرس ٣	الاجتهاد (٢) (حفظ وشرح)	٩
	الدرس ٤	دعوة الإسلام إلى اليسر والتبشير (١) (حفظ وشرح)	١٣
	الدرس ٥	دعوة الإسلام إلى اليسر والتبشير (٢)	١٨
	الدرس ٦	الساعي على الأرملة والمسكين	٢٢
	الدرس ٧	ذوو الاحتياجات الخاصّة	٢٧
	الدرس ٨	الاهتمام باليتيم واجب شرعي (حفظ وشرح)	٣٣
	الدرس ٩	آداب الاستئذان (حفظ وشرح)	٣٦
	الدرس ١٠	أمر المؤمن كله خير (حفظ وشرح)	٤٠
	الدرس ١١	من غشنا فليس منا (حفظ وشرح)	٤٥
	الدرس ١٢	حرمة الربا وأنواعه (١) (حفظ وشرح)	٤٩
	الدرس ١٣	حرمة الربا وأنواعه (٢)	٥٤
	الدرس ١٤	عِظَم ذنب الشرك (حفظ وشرح)	٥٨
	الدرس ١٥	عدل الله تبارك وتعالى (حفظ وشرح)	٦١
	الدرس ١٦	مشاركة النساء في الجهاد (حفظ وشرح)	٦٦
	الدرس ١٧	مثل المؤمن ومثل الكافر (حفظ وشرح)	٦٩
	الدرس ١٨	خطورة النفاق (حفظ وشرح)	٧٢

الفصل الدراسي الثاني			
الوحدة الثانية الحديث النبوي الشريف (شرح)	الدرس ١٩	الحض على التوبة (شرح)	٨٠
	الدرس ٢٠	سَعَة رحمة الله جل وعلا (شرح)	٨٣
	الدرس ٢١	الرفق بالحيوان (شرح)	٨٧
	الدرس ٢٢	فضل مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَة	٩٠
	الدرس ٢٣	اجتناب الكبائر (١) (شرح)	٩٤
	الدرس ٢٤	اجتناب الكبائر (٢) (شرح)	٩٨
	الدرس ٢٥	الزهد بما في أيدي الناس (شرح)	١٠٢
	الدرس ٢٦	أهمية حفظ اللسان (شرح)	١٠٥
	الدرس ٢٧	النذر (شرح)	١٠٨
	الدرس ٢٨	حرمة تشبُّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (شرح)	١١١
	الدرس ٢٩	فضل الرباط في سبيل الله (شرح)	١١٤
	الدرس ٣٠	فضل الجهاد في سبيل الله (شرح)	١١٨
	الدرس ٣١	أهمية الوصية (شرح)	١٢٢
	الدرس ٣٢	مكارم الأخلاق (١) (شرح)	١٢٥
	الدرس ٣٣	مكارم الأخلاق (٢) (شرح)	١٢٩
	الدرس ٣٤	التحذير من الفِرَق الضالّة (شرح)	١٣٢
	الدرس ٣٥	فضل بلاد الشام (شرح)	١٣٥
	الدرس ٣٦	فَضْلُ الذِّكر (شرح)	١٣٩
	المراجع		١٤٣

الفصل الدراسي الأول

الوحـــدة

١

الحديث النبوي الشريف (حفظ وشرح)

الدرس

١

التقليد (حفظ وشرح)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تأخذَ أمتي بأَخْذِ القرون قبلَها شبراً شبراً، وذراعاً بذراعٍ. فقيل: يا رسولَ الله! كفارسِ والروم؟ فقال: «ومَنِ الناسُ إلا أولئك؟»**[١].

راوي الحديث:

أبو هريرة رضي الله عنه: عبد الرحمن بن صخر الدّوسي، نسبة إلى قبيلة (دوس)، صحابي جليل، كنّاه النبي ﷺ بأبي هريرة؛ بسبب هرة كان يحمل لها أولادها. من الرواة المكثرين عن النبي ﷺ، وكان من أحفظ الصحابة، وكان يقول للأنصار رضي الله عنهم إذا ذُكر إكثاره في الرواية عن رسول الله ﷺ: أنتم يا معشر الأنصار، لقد شغلكم الصفق في الأسواق، أمّا أنا فقد لازمتُ رسول الله ﷺ على ملء بطني.

قال عن نفسه: حضرت مجلساً للنبي ﷺ فقال فيه: «**مَنْ يبسط رداءه حتى أفضي مقالتي ثمّ يقبضه فلن ينسى شيئاً سمعه مني؟**»، فبسطتُ بردة كانت عليَّ. فوالذي بعثه بالحق ما نسيتُ منه شيئاً بعد أن سمعته منه ﷺ[٢]. روى عنه أكثر من ثمانمائة من أهل العلم من الصحابة والتابعين، وتوفي سنة ٥٧هـ.

شرح الحديث:

تميز الأمة الإسلامية عن سواها من الأمم:

اصطفى الله تبارك وتعالى أمة الإسلام واختصها عن سواها من الأمم بصفات جليلة خيّرة، وميزها بأمورٍ وخِلالٍ جدٌّ عظيمة، فنَبِيُّها ﷺ خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، والحجة على الناس إلى يوم القيامة، وهي خير أمة أخرجت للناس، وعقيدتها عقيدة التوحيد المنزّهة عن الوثنية والشرك، والمبرّأة عن النقائص والخلل. ويبقى هذا التميّز حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، وقال جل شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ البقرة: ١٤٣، والأمة الإسلامية بتميزها لا تذوب في سواها من الأمم، ولا تقلد غيرها من الشعوب والمجتمعات فيما يتناقض ويتعارض مع العقيدة الحقّة أو تعاليم الإسلام، وشريعته الغراء، وقيمه الفاضلة

١ أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعنّ سنن مَنْ كان قبلكم».
٢ أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجة على مَنْ قال: إنّ أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة.

وأخلاقه الرفيعة، وبذلك يبقى المسلم شامخاً بين الأمم، ومميزاً بعقيدته وسلوكه وأخلاقه وقيمه، وتبقى الأمة الإسلامية منارة هداية ورشاد وسط شعوب الأرض ومجتمعاتها؛ قال ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظَلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[1].

صِدْقُ النبوة:

كان عهد الرسول ﷺ وعهد صحابته الكرام عهد الأصالة والتميز في الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة وفكراً وسلوكاً، قال ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثم يَجيءُ قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينهُ شهادَته**».[2]

وفي حديث الدرس يخبر النبي ﷺ عن واقع وسلوك سيكون لأمة الإسلام فيما يُستقبَل من الزمان؛ حيث سيعتريها تغيُّر وتحوُّل، وسيدخل عليها ما ليس من جنس عقيدتها، أو ثقافتها، أو أخلاقها، وستُبتلى بداءِ تقليدِ أممٍ سابقةٍ كان لها نفوذ وسطوة ومكانة؛ فتأخذ منها وتتشبه بها في أمور حياتها، أو كثير منها، حتى لو دخلوا جُحرَ ضبٍ لدخلته الأمة الإسلامية، أو حاولت دخوله، وفي ذكر جحر الضب كناية ومجاز عن شدة التقليد، وإلا فإن دخول الآدمي لجحر ضبٍّ ممتنعٌ عقلاً، وفي ذلك إشارة – أيضاً- إلى المكانة والنفوذ الذي سيكون لتلك الأمم في نفوس أبناء الأمة الإسلامية.

ولو نظرنا إلى حال أمتنا اليوم لرأينا ذلك حقيقة ماثلة، حيث تركت الأمة الإسلامية الشريعة الغراء في مجالات كثيرة على رأسها التقنين، وتنظيم أمور حياتها ومعاشها. فالحكم بما أنزل الله قد استُبدِلَ بنظم وقوانين وضعية، وغُيِّبت الشريعة الإسلامية عن واقع الناس قانوناً ونظاماً، وحلَّت الأفكار الدخيلة؛ كالقومية، والبعثية، والشيوعية، والرأسمالية بديلاً عن الفكر والثقافة الإسلامية، ولم يكن ذلك إلا تقليداً لما ظهر في الغرب في فترة ظهور القوميات والشيوعية والاشتراكية، أو ظهور النظام الرأسمالي.

كما سلكت الأمة مسلكاً خطيراً في تقليد الغرب في بعض السلوكيات التي تتناقض وتتعارض مع الإسلام، ومن ذلك خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة مقلّدة بذلك المرأة في الغرب. وكل ذلك مصداق للحديث النبوي الشريف الذي ينبّئنا ﷺ بوقوعه قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان.

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو. وقال: حسن غريب.

٢ أخرجه البخاري: كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.

الهدي النبوي في الحديث:

جاء في رواية هذا الحديث قوله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تأخذَ أمتي بأَخْذِ القرون قبلَها، شبراً شبراً، وذراعاً بذراعٍ**».

وجاء في رواية أخرى: «**لتتبعن سَنَنَ مَنْ كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتموهم: قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»[1]

يخبر النبي ﷺ أنّ الساعة لن تقوم حتى يأتي على الأمة الإسلامية زمان تُقلَّد فيه فارس والروم؛ لكونهم إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلاداً، أو اليهود والنصارى. وفي هذا دلالة على أنّ اليهود والنصارى سيكون لهم صولة وجولة وقوة ونفوذ، لدرجة أنّ الأمة الإسلامية ستقلّد هؤلاء الناس في حياتهم وسلوكهم. وفي هذا إشارة إلى ضعف دور الأمة الإسلامية في مثل هذه الأزمنة، فطبائع الشعوب أن يقلّدَ فيها المغلوبُ الغالبَ، والمهزوم يقلد المنتصر، وأنّ الأمة الإسلامية ستصاب بهذا المرض، وتأخذ بأخذ القرون من قبل؛ أي تفعل فعلهم وتسلك سلوكهم.

المقبول والمرفوض من التقليد:

إن تقليد الأمم الأخرى له جوانب ووجوه متعددة، وقبول التقليد أو رفضه في تلك الجوانب يعتمد على موافقتها لعقيدة الإسلام وأحكامه، أو عدم موافقتها، وما يرتبط بذلك من مصالح مشروعة أو مفاسد مرفوضة، ولذلك فإن التقليد فيما أباحه الشرع مقبول سواء أكان في مجال الصناعات والابتكارات، والنظم الهندسية في البناء، أم العلوم المتنوعة والمهارات، بل حتى في الأكل والشرب واللباس وأنواع الزينة، أو غير ذلك من أمور الدنيا.

ما يستفاد من الحديث:

يستنبط من الحديث إرشادات تربوية وفقهية كثيرة، منها:

١ تميُّز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.

٢ المسلم لا يكون إمّعة، يصنع ما يصنعه غيره من خير أو شر، بل يفعل الخير ويتجنب الشر في كل أحواله.

٣ في الحديث دلالة واضحة على صدق النبوة والرسالة.

٤ لا يجوز للمسلم أن يقلّد غير المسلمين فيما يتعارض وأحكام دينه الحنيف.

---

١ أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابق نفسه.

التقويم

١ أكمل الحديث الشريف: «لا تقوم الساعة . . . . . الحديث».

٢ أُعرِّف براوي الحديث الشريف.

٣ بمَ خصّ الله تبارك وتعالى أمة الإسلام عن سواها من الأمم؟

٤ أفسر كيف يكون قول الرسول ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأَخْذِ القرون قبلها شبراً شبراً، وذراعاً بذراع**» دلالةً على صدق النبوة والرسالة.

٥ أبين المقبول من المرفوض في تقليد الأمم.

٦ أذكر ثلاثة إرشادات يدل عليها الحديث النبوي السابق.

الدرس
٢

الاجتهاد (١)

عن عمرو بن العاص ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا حكَمَ الحاكمُ فاجتهدَ ثمَّ أصابَ فلهُ أجران، وإذا حكَمَ فاجتهدَ ثمَّ أخطأَ فلهُ أَجرٌ**»[١].

راوي الحديث:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، قدم على النبي ﷺ مسلماً قبل الفتح بأشْهُرٍ مع خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، إلى المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمانٍ من الهجرة.

قال البخاري: ولَّاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، أصله مكي، نزل المدينة، ثم سكن مصر، ومات فيها.

قال قَبِيصَةُ بن جابر: صحبت عمرو بن العاص، فما رأيت رجلاً أبين -أو قال أفصح- رأياً، ولا أكرم جليساً، ولا أشبهَ سريرةً بعلانية منه.

كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، وكان شاعراً حَسَن الشعر، داهيةً من دهاة العَرب الأربعة. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد (بن أبيه).

مات ﵁ سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة ثلاث وأربعين للهجرة الشريفة، روى له الجماعة.

أتعلم:

الجماعة: مصطلح حديثي يقصد به أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد في المسند.

شرح الحديث:

يبين الحديث الشريف فضل الاجتهاد وأهميته، **والاجتهاد في اللغة**: بذل الطاقة، وبلوغ الغاية في المشقة. **وأما في الاصطلاح**: فبذل الوسع في معرفة حكم شرعي بطريقة الاستنباط.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

■ أهميةُ الاجتهادِ وضرورتُه:

الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، ورسولنا محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين؛ قال جل شأنه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

وقد خص الله سبحانه هذه الرسالة بالخلود والشمول والعموم؛ ذلك أنها رسالة الله إلى الناس أجمعين، بغض النظر عن قومياتهم، أو أقطارهم، أو أجناسهم، أو ألوانهم، بل هي للإنس والجن على حدٍّ سواء؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ الجن: ١ - ٢. وهي صالحة لكل زمان و مكان، ولكل البيئات، سواءٌ أكان ذلك في الصحراء، أم في الجنان الخضراء، في الحضر أو في البادية، كما أنّها صالحة لكل مجالات الحياة. من هنا أودع الله فيها خاصيَّة المرونة؛ ففيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد، والإجابة على كل تساؤلٍ، وإعطاء حكمٍ لكل مستجد.

فالاجتهاد وسيلة للتعرف على الأحكام الشرعية التي نص فيها، وهو دليل قاطع على مرونة التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، ففيه إعمال للعقل بالنظر في الأدلة، وإلحاق الفروع بالأصول، وقياس الأمور بأشباهها ونظائرها، ما يحفظ لشريعة الإسلام الاستمرارية والتجدد، والأخذ بزمام قيادة الحياة لما يحبه الله ويرضاه، وبهذا تتسع الشريعة الإسلامية حتى تستوعب كل مستحدث، وتمتلك القدرة على توجيه كل تطور إلى ما هو أقوم وأصلح وأنفع؛ لذلك ينبغي للأمة ألا تقفل باب الاجتهاد، حتى لا يقتلها التقوقع والجمود، فيكون المسلمون في وادٍ ومسيرة الحياة وتطورها في وادٍ آخر.

وفتح باب الاجتهاد يقتضي الحرص على تأهيل من يقوم بعبء ذلك من العلماء، وإلا فكيف السبيل للحكم على الأمور المشكلة والحادثات الكثيرة، والمسائل المستجدة الناجمة عن سير الحياة وتطور وسائلها؟

■ أجر المجتهد:

من المألوف في أذهان البشر أن الجزاء على الاحسان إحسان، وأن الخطأ لا يقابله ثواب، وحديث الرسول ﷺ في بيان أجر المجتهد جاء على خلاف ذلك، فقد بيَّن ﷺ أن لكل مجتهد أجراً؛ فمن وافقَ الحقَّ في اجتهاده وأصابَ كان له أجران، ومَنْ أخطأ وجانَبَه الصواب فله أجرٌ أيضاً؛ وفي ذلك تشجيع للعلماء على الاجتهاد، ورفعٌ للحرج المتمثل في الخوف من الوقوع في الإثم في حال الخطأ في الاجتهاد. وفي ذلك تحفيز للعقول الناضجة والواعية لتفكر، وتستثمر المكنون من الطاقات والقدرات بما فيه النفع والخير.

■ **من معاني الحديث:**

في قوله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم**»؛ أي إذا أراد أن يحكم، فعندئذٍ يجتهد، ويؤيده أنّ أهل الأصول قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة (المسألة التي يراد أن يفتى فيها)، ولا يعتمد على ما تقدم له؛ لإمكان أن يظهر له خلاف غيره.

والمقصود بالمجتهد هنا الحاكم والخليفة، أو نائبه أو واليه، أو من كان مُنَصَّباً لمجلس القضاء أو الإفتاء، ومَنْ كان مثلهم من أهل العلم والصلاح.

وفي قوله ﷺ: «**فاجتهد ثم أصاب**»؛ أي: وافق اجتهاده وحكمه حكمَ الله تعالى.

وقوله: «**ثمَّ أخطأ**»؛ أي: ظنّ أنّ الحق فيما اجتهد فيه، فوافق أنّ الصواب بخلاف ذلك؛ فالأول له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، أمّا الثاني فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد. ومن رحمة الله تعالى أنّه لم يؤاخذه على أخطائه؛ لأنّه قصد وأراد الوصول إلى الحق فرُفع عنه الإثمُ بالنِّية.

التقويم

١ أكمل الحديث: «إذا حكم الحاكم . . . . . الحديث»

٢ أعرِّف براوي الحديث الشريف.

٣ أعرِّف الاجتهاد لغة واصطلاحاً.

٤ أعلل ما يأتي:

أ فتح الإسلام باب الاجتهاد.

ب خاصية المرونة في نصوص الشريعة الإسلامية.

جـ المجتهد المخطئ له أجر.

٥ أبين المقصود بما يأتي:

أ قوله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم**».

ب قوله ﷺ: «**ثم أخطأ فله أجر**».

الدرس
٣

الاجتهاد (٢) (حفظ وشرح)

تعرفنا في الدرس السابق إلى أهمية الاجتهاد وفضله، وفي هذا الدرس بيان لِمَن يحق له الاجتهاد ومن لا يحق، وذكر لبعض ضوابط الاجتهاد وشروطه.

أتذكر:

عن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[1].

من يحق له الاجتهاد؟

للاجتهاد مرتبة عظيمة، وغاية جليلة، فلا يُتْرك لِمَن هبّ ودبّ، أو لكل من تَحصَّل له شيء من علم في جانب أو جوانب من المعرفة، بل هناك شروط وضوابط وقواعد وضعها علماء الإسلام وفقهاؤه، فمن استطاع أن يصل إلى رتبة الاجتهاد وتوافرت فيه الشروط المطلوبة في المجتهد جاز له أن يجتهد ويفتي في المسائل المستجدة والنوازل المعاصرة، ومَنْ لم تتوافر فيه الشروط ولم يستطع تحقيقها لا يصحّ له الاجتهاد في دين الله؛ لأنّ المجتهد يفتي ويحكم بالحلال والحرام، وهذا لا يتأتى إلا بفقه وعلم مكين؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ النحل: ١١٦؛ فالذي يفتي بالحلال والحرام دونما علم هو كاذب على الله ومفترٍ، وحسابه عند الله شديد.

شروط المجتهد:

هناك شروط وضعها العلماء والفقهاء لا بد من أن تتوفر في المجتهد حتى يصح له الاجتهاد في دين الله، وهي:

أولاً: العلم بكتاب الله الكريم:

لا بد للمجتهد أن يحيط علماً بآيات الأحكام بشكلٍ خاص، وبآيات القرآن العظيم على وجه الإجمال والعموم، فالقرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتشريع، فلا يقبل مِمَّن تصدى للاجتهاد أن يكون جاهلاً

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

بآياته، وما فيها من معانٍ ودلالات، وفهم القرآن الكريم يقتضي معرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، ومعرفة أسباب النزول. قال الشافعي -رحمه الله- فيما رواه عنه الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه: «ولا يحل لأحدٍ أن يفتيَ في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله؛ بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكِّيهِ ومدنيِّهِ، وما أريد به، وفيمَ أنزل».

■ **ثانياً: العلم بالسنَّة النبوية الشريفة:**

والمقصود بالسنَّة هنا: ما جاء عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ. ولا يُشترط الإلمام بكل ما ورد من السنَّة النبوية والأحاديث الشريفة، ولكن أن يكون ملماً بأحاديث الأحكام والتي يُبنى عليها الحلال والحرام، والجائز والمحظور، والناسخ والمنسوخ منها. قال الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى-: وأمّا السنة فلا بد من معرفة الأحاديث التي تتعلق بالأحكام.

■ **ثالثاً: العلم بالعربية:**

لا بد للمجتهد أن يُلمّ بعلوم العربية، من نحو وبلاغة وغير ذلك ممّا يؤهله لفهم الخطاب الشرعي ومدلولاته، وخطاب العرب وطرائق استعمالهم للغة، ولا يشترط التخصص الدقيق في علم اللغة.

■ **رابعاً: العدالة والتقوى:**

وهما وصفان لا بد منهما فيمن تُقبلُ فتواه، وتظهر عدالة المجتهد وتقواه من خلال ما يظهر من سلوكه والتزامه بأحكام الدين الحنيف.

■ **خامساً: العلم بمواضع الإجماع:**

يلزم المجتهد أن يكون عارفاً بمواضع إجماع فقهاء الأمة؛ كي لا يفتي في مسألة من المسائل بخلاف ما أجمع عليه العلماء فيها.

■ **سادساً: العلم بأصول الفقه:**

هذا العلم هو الناظم والمرتِبُ والأصل الذي يُعتَمدُ عليه في طرق الاستنباط، والنظر في الأدلة، وكيفية الاستدلال بالنصوص من كتاب وسنة وإجماع وقياس على القضية الفقهية المراد إصدار الحكم فيها. يقول العلامة الفخر الرازي: إنّ أهم العلوم للمجتهد علم أصول الفقه.

سابعاً: العلم بمقاصد الشريعة:

من تصدى للاجتهاد لا بد له من معرفة مقاصد الشريعة والتمييز بين الضرورات والحاجات والتحسينات، وهذا ما كان عليه السلف الصالح -رحمهم الله-: إذ اعتبروا مقاصد الشريعة الإسلامية الأساس في فتاويهم، ونظروا إليها نظرةً دقيقةً حين صدور الفتوى المرادة.

أتعلم:

- **الضرورات:** وهي ما لابد منه لصلاح حياة المسلم في دينه ودنياه، وتتمثل في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل.
- **الحاجيات:** ما يحتاجه المسلم للتوسعة ورفع المشقة والحرج.
- **التحسينيات:** المصالح التي يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق.

حكم الاجتهاد:

يُعدُّ الاجتهاد فرض كفاية، فلا يجوز أن يخلوَ عصرٌ أو زمن من مجتهدين أو مجتهد واحد الأقل، فإن خلا المجتمع المسلم من ذلك أَثِمَتِ الأمة كلها. ويرتفع الإثم في حال تحقُّق الكفاية بتوفر مجتهد واحد أو مجموعة من المجتهدين.

مراتب الاجتهاد:

للاجتهاد مراتب ودرجات متفاوتة نجملها في الآتي:

أ- المجتهد المطلق:

هو العالم أو الفقيه المتبحر في علوم الشريعة الإسلامية، ويُفتي في كل ما يعرض عليه من مسائل وقضايا، ولا يحصر نفسه في مذهب محدد. ولا يقيد نفسه بأصول إمام من الأئمة المجتهدين، سواء أكانوا الأئمة الأربعة أم مَنْ كان في مستواهم وقدراتهم في الفقه والفهم والقدرة على الاستنباط والإحاطة بالأدلة الشرعية وآيات وأحاديث الأحكام، وعلى هذه المرتبة من الاجتهاد علماء كثر منهم: الليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي، وغيرهم.

ب- مجتهد المذهب:

وهو الذي يلتزم في اجتهاداته مذهباً فقهياً محدداً، يلتزم طريقه وأصوله في النظر والاجتهاد وطرائق

الاستدلال ولا يخرج عنه؛ كالأئمة من أتباع الفقهاء الأربعة، أمثال: محمد بن الحسن الشيباني، وزُفَرُ في المذهب الحنفي، والمزَني والإمام النووي في المذهب الشافعي، وغيرهم من أتباع الأئمة.

■ **جـ- مجتهد مسألة:**

هو العالم الذي يجتهد في مسألة معينة لا يجتهد في سواها يجمع لها الأدلة التي في بابها، وينظر فيها سواءٌ أَكانت من الكتاب، أم من السنة، أم من القياس؛ فيحقق هذه المسألة ويجتهد فيها، ويعطي فيها حكماً معيناً، ويفتي فيها بما أوصله رأيه واجتهاده.

التقويم

١ هل يحق الاجتهاد لكل من أراد؟ ولماذا؟

٢ أذكر الشروط والضوابط الواجب توفرها في المجتهد.

٣ ما الحكم الشرعي في الاجتهاد؟

٤ أفرق بين المجتهد المطلق ومجتهد المذهب.

الدرس

٤

دعوة الإسلام إلى اليسر والتبشير (١) (حفظ وشرح)

عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه ﷺ قال: بعث النبي ﷺ أبي ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: «يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوَعا، فقال له أبو موسى: إنّه يُصنَع في أرضنا البِتْع، فقال: كل مُسكرٍ حرام». [١]

راويا الحديث:

ورد في الحديث صحابيان جليلان هما:

أبو موسى الأشعري ﷺ: هو والد راوي الحديث أبي بردة، وهو عبد الله بن قيس بن سُليم بن الأشعر، صحابي جليل، خرج من بلاد قومه في سفينة، فألقتهم الريح بأرض الحبشة، فوجدوا فيها جعفر بن أبي طالب، فأقاموا عنده، ورافقوه إلى المدينة المنورة. كان له صوت جميل في قراءة القرآن، حتى قال عنه ﷺ: «**لقد أُوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود**»[٢]، وكان عمر بن الخطاب ﷺ: «إذا رآه قال: ذكّرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده، أو يقول له: شوّقنا إلى ربنا. توفي سنة اثنتين وأربعين للهجرة.

معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي: أبو عبد الرحمن المدني، صحابي من خيرة أصحاب النبي ﷺ، ومن كبار علمائهم، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، شهد بدراً والعقبة وسائر الغزوات، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وكان أعلم الصحابة بالحلال والحرام، وكان من أجمل الناس شكلاً، توفي ﷺ في سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة للهجرة وهو ابن أربع وثلاثين، وذلك في طاعون عمواس.

شرح الحديث:

بعثُ أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن:

أورد البخاري قصة اختيار أبي موسى الأشعري ﷺ ولفظها: «قال: أقبلت ومعي رجلان من الأشعريين وكلاهما سأل – يعني أن يَسْتَعْمِلَهُ الرسول ﷺ فقال: لن نستعمل على عملنا مَنْ أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى إلى اليمن، ثم أتبعه بمعاذ بن جبل»[٣].

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

ويتضح من هذه الرواية أنّ النبي ﷺ ولّى أبا موسى الأشعري بسبب زهده في المناصب وما عُرف به رضي الله عنه من الفطنة والذكاء، ومنَعَ تولية المنصب عن صاحبيه؛ لما رأى من حرصهما وحبهما للولاية والإمارة، وهذا منهج النبي ﷺ في تَوْلِيَةِ المناصب والولايات لِمَنْ يرى عنده زهداً وعزوفاً عن الدنيا ومناصبها، وذلك لعلمه بأنّ مثل هؤلاء الناس هم الأصلح للولاية، فورعهم وتقواهم هو الذي زهدهم في الدنيا، أمّا مَنْ يسأل الولاية ويحرص عليها، فتلك إشارةٌ على حبه للدنيا وزخارفها ومناصبها، والذي يرجع إلى التاريخ يرى أنّ القادة والخلفاء والأمراء الذين كان لهم بصمات واضحة على شعوبهم، وكان لهم أثر في صلاح الناس، إنّما هم من الذين فُرضت عليهم الإمارة فرضاً وأُرغموا عليها.

قال ابن حجر رحمه الله: «واستدل به -أي هذا الحديث- على أنّ أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، . . . ، ولذلك اعتمد عليه عمر، ثم عثمان، ثم علي».

أمّا بعث النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فكان لصفة اخْتُص بها معاذ، وهي تفوقه على غيره من الصحابة في أحكام الفقه، وهذا ما يحتاجه أهل اليمن في ذلك الزمان، خاصة أنّهم حديثو عهد بالإسلام، ويحتاجون مَنْ يعلمهم أحكام دينهم الجديد؛ وقد قال فيه ﷺ: «**وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**».[1]

«يسِّرا ولا تعسِّرا»:

اليسر والعسر كلمتان يحمل كل منهما نقيض الآخر، وقد ارتبطتا معاً في أكثر من موضع في القرآن؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ٥ - ٦.

واليسر: هو السهولة في الشيء، والتيسير: هو التسهيل على الناس.

أمّا العسر: فهو الضيق والشدة، ويوم عسير؛ أي يوم شديد وصعب.

وقد أوصى الرسول ﷺ أبا موسى ومعاذ رضي الله عنهما بالتيسير وعدم التعسير. واليسر ورفع الحرج قاعدة في الفقه الإسلامي يُستَنَد إليها في تخريج الكثير من الأحكام، والأخذ بها يستند إلى استقراء آيات القرآن الكريم وأحكامه، ومنهج النبي ﷺ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «**ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً**»[2]، والتيسير ليس خاصاً بالنبي ﷺ بل هو تشريع لأمته، والأمة مطالبة بمتابعة هذا الأمر واتخاذه منهجاً، ويتحمل العلماء مسؤولية عظيمة بالتأصيل لمنهج التيسير قبل غيرهم؛ فإليهم

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب في مناقب معاذ بن جبل.
٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

تُسنَد الفتاوى، وهم من يتصدون لاستنباط الأحكام الشرعية، فلا ينبغي للعالم أن يأخذ جانب التشديد والتضييق، فالتشديد يتقنه كل واحد، أما التخفيف فلا يتقنه إلا الحاذقون في الفقه، وإنه ليسير على المفتي أن يتشدد تحت مسوِّغ الأخذ بالأحوط، أو الخروج من الخلاف، وليس من السهل على كل من تصدّر للفتوى أن يُيَسِّرَ على الناس، فذلك يحتاج إلى قدرة عالية من الفهم والإتيان بالدليل واستحضار الشواهد المشابهة من الفقه الإسلامي.

وليس المقصود بالتيسير التفريط في أحكام الإسلام، بل الترغيب والتخفيف على الناس لتسهيل الالتزام بالأحكام الشرعية.

ومن أبرز مظاهر التيسير في هذا الدين:

١ عدم تكليف الناس ما لا يطيقون؛ لقوله ﷺ: «. . . . **فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا**. . .»[١]، وهذا واضح أيضاً في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾ المائدة: ٦، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ النساء: ٢٨.

٢ الرُّخَص الشرعية؛ كالجمع والقصر في الصلاة عند السفر، وإفطار الصائم المريض والمسافر، والتيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله. . . إلخ.

«بشِّرا ولا تنفِّرا»:

أي أظهرا من جمال الدين وسهولته ورحمته بالناس ما يجذبهم إليه ولا يصدُّهم عنه. ومن جميل ما قاله الإمام ابن حجر -رحمه الله تعالى- في التعليق على هذا الحديث: «في الحديث الأمر بالتيسير في الأمور والرفق بالرعية وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة لئلا تنفر قلوبهم، لا سيما فيمَنْ كان قريب العهد بالإسلام، أو قاربَ حد التكليف من الأطفال ليتمكن الإيمان من قلبه، ويتمرن عليه».

وأسلوب التبشير هو أسلوب فعّال في التربية، سيما في تربية الأطفال؛ إذ لا ينصح في مجال التربية أن يُبدأ بالتخويف والتركيز على النار والعقاب، بل يُبدأ معه بإظهار مدى حب الله لعباده وما أعده للمحسنين، والكلام عن الجنة والنعيم، والتحبيب بالنبي ﷺ، فهذه المعاني تدفع الأجيال للانتماء للدين والتعلق به، والافتخار بالانتساب إليه.

وكم نحن بحاجة إلى هذا الأسلوب النبوي في وقت تُشَوَّه فيه صورة الإسلام، ويوصف بأنّه دين القتل

١ أخرجه ابن ماجه في سننه: في مقدمته، باب اتّباع سنة رسول الله ﷺ.

والإرهاب والعنف، وذلك من أعدائه الحاقدين، أو من الجهلة المُنَفِّرينَ من أبنائه، أو من المتشددين المغالين الذين لا يؤمنون إلا بالعنف والدم والقوة؛ لإظهار الدين وإعزازه.

«وتطاوعا»:

أي: توافقا ولا تختلفا؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى اختلاف أتباعكما، فيُفضي إلى العداوة ثم المحاربة.

والتوافق يتم بالرجوع إلى الكتاب والسنة إذا حدث الاختلاف؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩.

وإذا سأل سائل كيف يبعث النبي ﷺ رجلين ليقوما بالقضاء في أمور الناس، مع العلم أنّ القضاة قد يختلفون في الحكم على مسألة واحدة؛ أي بمعنى آخر: كيف يوِّلي رجلين للمنصب نفسه؟

ويجاب عن ذلك بأنّ ظاهر الرواية لم يحدد طبيعة اشتراكهما في القضاء، فقد يكون ولاّهما ليشتركا في الحكم في كل حادثة، ويَحْتَمِلُ أن يستقلَ كل واحد منهما بالقضاء في أمور تختلف عن صاحبه، ولكنّ هذا الغموض يزول إذا استعنّا برواية أخرى تبين طبيعة توليتهما، ففي الحديث: «**بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كلَّ واحد منهما على مِخلاف، قال: واليمن مِخلافان**»[1].

والمخلاف هو لغة أهل اليمن ويعني: الإقليم، والحديث يظهر أن اليمن كانت في ذلك الوقت جزأين أو إقليمين، فبعث كل واحد على إقليم، وكانت جهة معاذ المنطقة العليا من اليمن؛ أي جهة عدن وما حولها، وله فيها مسجد مشهور. وكانت جهة أبي موسى هي السفلى وهي منطقة التهائم وما حولها.

ما يرشد إليه الحديث:

١ الحض على الاتفاق؛ لما فيه من ثبات المحبة والألفة والتعاون.

٢ ضرورة التيسير في الأمور والرفق بالرعية وتحبيب الإيمان إلى القلوب.

٣ الابتعاد عن كل ما ينفّر ويشدد على الناس.

٤ التوسط والاعتدال، وإظهار الدين بصورته الناصعة.

٥ الرُّخَص مظهر من مظاهر التيسير على الناس.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

التقويم

١ أكمل الحديث النبوي الشريف : «بعث النبي ﷺ أبي ومعاذ . . . . . الحديث» .

٢ أُعرِّف بالصحابيين الواردين في الحديث الشريف .

٣ أوضح سبب اختيار النبي ﷺ لكل من الصحابيين في بعثهما إلى اليمن .

٤ أشرح ما يأتي :

أ بشِّرا ولا تنفِّرا .

ب تطاوعا .

٥ أختار رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

١ والد راوي الحديث (أبو بردة) هو :

أ معاذ بن جبل .

ب أبو موسى الأشعري .

جـ سعيد بن أبي بردة الأشعري

٢ اختيار الأسهل والأيسر من الأمور :

أ منهج نبوي قويم .

ب تسيّب وتفلّت من الأحكام الشرعية .

جـ بدعة .

٦ أذكر ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث .

٧ أعلل : ينصح في تربية الأطفال تقديم أسلوب الترغيب والتحبب على غيره .

الدرس

٥

دعوة الإسلام إلى اليسر والتبشير (٢)

تكلمنا في الدرس السابق عن دعوة الإسلام إلى التيسير على الناس والرحمة بهم، وفي هذا الدرس نتكلم عن حكم المُسكِرات في الإسلام.

أتذكر:

حديث أبي بردة ﷺ عندما قال: بعث النبي ﷺ أبي ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا، فقال له أبو موسى: إنّه يُصنع في أرضنا البِتْع؟ فقال: كل مُسكرٍ حرام**»[1].

«كل مُسكرٍ حرام»:

ورد في سياق الحديث سؤال عن «البِتْع» فأجاب الرسول ﷺ: «**كل مُسكرٍ حرام**».

والبِتْع: هو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يُكثرون من شربه. ومعلومٌ أنّ الخمر تتنوع مصادره، فهو يصنع من العنب والنخيل والشعير والعسل... إلخ. لذلك جاء جواب الرسول ﷺ عاماً حتى يشمل التحريم البتع وغيره من المسكرات، فأصبح قوله ﷺ: «**كل مُسكرٍ حرام**» قاعدة يُرجَع إليها في تحريم كل مُسكِر.

سبب تحريم الخمر:

جاءت الشريعة الإسلامية لتحافظ على مصالح الناس الضرورية منها والحاجية والتحسينية، وقد جاء تحريم الخمر في سياق حفظ الضروريات، والمتمثلة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والعلة في تحريم الخمر السُّكْرُ، فمع السكر يذهب العقل -الذي هو مناط التكليف- وإذا تعطل عقل الإنسان ساء تصرفه، فلا يرتدع حينئذٍ عن التلفظ بالمشين من الأقوال، وممارسة المنكر من الأعمال، فيستهين بحرمة الدين، وقد يعتدي على الأعراض ويرتكب الجرائم، ويقع في المحظورات.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب أمر ولي الأمر إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا.

وفي الإدمان على الخمر أضرار تشمل جوانب متعددة من الحياة، منها:

أولاً: **الجانب الاقتصادي**: إنّ الإدمان على الخمور يستنزف ميزانية الشخص، ويضطره إلى إنفاق مبالغ طائلة تكون على حساب حاجاته الأساسية، وقد نهى الإسلام عن إهدار المال وإضاعته فيما لا ينفع، فكيف يكون الحال فيما ثبت ضرره وتأكد خطره؟

وفي الإدمان إهدار للمال على مستوى الدول، حيث تنفق المليارات على هذا المشروب الخبيث، سواءً من أجل شرائه أو بشكلٍ غير مباشرٍ في علاج ما سببه الخمر من أمراض عند الإنسان.

ثانياً: **الجانب الاجتماعي**: يؤدي شرب الخمور والإدمان عليها إلى تفكيك الأُسر، وزيادة حالات الطلاق، وتشرد الأطفال، والعنفِ الأسريِّ، ويؤدي إلى ازدياد الجرائم بشكل كبير؛ كالقتل والسرقة والاغتصاب، وحوادث السير التي تحصد أرواح الناس، وتسبب الكثير من الإصابات والإعاقات.

أضف إلى ذلك أنّ أعداء الأمة يستخدمون الخمر والمخدرات للإيقاع بشباب الأمة وغمسهم في حبائل الرذيلة والسقوط.

ثالثاً: **الجانب الصحي**: حيث إنّ خطر الخمور لا يُنكره عاقل، وتشير الدراسات الطبية إلى أنّ الخمر سبب رئيس في تشمُّع الكبد القاتل، واعتلال عضلة القلب، والتسمم الكحولي، وحدوث آلام في الجهاز الهضمي، وفقدان الشهية، والضعف الجنسي، وتصلب الشرايين والأنسجة...، والكثير من الأمراض التي يصعب حصرها في هذا المقام. ومعلوم من الدين بالضرورة أنّ الإسلام لا يقبل الضرر؛ قال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضِرار**»[1].

ولما يترتب على الخمر من ضرر نجد أنّ دولاً مثل الولايات المتحدة الأمريكية تَسُنّ قانوناً في عام ١٩٣٠م يمنع تناول الخمور وتداولها بيعاً وشراءً، ويعاقب على ذلك، إلا أنَّ غياب الوازع الديني وقدرة الناس على التفلُّت من القانون جعلهم يُلغون هذا الحظر في عام ١٩٣٣م.

■ الأدلة على تحريم الخمر:

تحريم الخمر من الأحكام القطعية؛ فقد ثبت تحريمها بالكتاب والسنة وإجماع العلماء، ومن ذلك:

١ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠.

---

١ أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق.

٢ قوله ﷺ: «**لعن اللهُ الخمرَ وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**». [١]

■ عقوبة شارب الخمر:

لا نجد آية في القرآن الكريم أو حديثاً للنبي ﷺ يحدد عقوبة شارب الخمر، والوارد في الأحاديث هو ذكرُ العقوبة دون تحديدٍ لمقدارها، والذي عليه جمهور الفقهاء أنَّ حد شارب الخمر هو الجلد ثمانون جلدة، حيث ظهر من كلام الإمام علي رضي الله عنه في تشاورٍ مع الصحابة رضي الله عنهم قياس شرب الخمر على حد القذف، حيث قال: «**إذا شرب سَكر، وإذا سكِر هذى، وإذا هذى افترى، وحد المفتري ثمانون**»[٢]، فأخذ عمر رضي الله عنه بهذا القول ولم ينكر عليه أحد.

■ أحكام فقهية تتعلق بالخمر:

١ يحرم تناول الكمية القليلة من الخمر حتى وإن لم يؤدِّ إلى الإسكار؛ لقوله ﷺ: «**ما أسكر كثيرُه، فقليله حرام**»[٣].

٢ تَحْرُمُ كل أشكال التعامل المتصل بالخمر، ولا يقتصر الأمر على شاربها، بل يَحرمُ بيعها وشراؤها والاتّجار بها ولو مع غير المسلمين، فلا يحل لمسلم أن يستورد الخمر أو يصدِّرها أو يصنِّعها أو ينقلها... إلخ.

٣ يحرم بيع العِنب لِمَنْ يتخذه خمراً.

٤ يجب على المسلم مقاطعة مجالس الخمر، ومجالسة شاربيها، وعدم ارتياد الأماكن التي تقدمها، ففي الحديث: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعد على مائدة يدار عليها بالخمر**»[٤]، وقد روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنّه كان يجلد شاربي الخمر ومَنْ شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم.

٥ لا يجوز استخدام الخمر كدواء، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ وسأله عن الخمر فنهاه عنها، فقال الرجل: إنّما أصنعها للدواء! فقال ﷺ: «**إنّه ليس بدواء، ولكنه داء**»[٥].

---

١ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، قال الألباني صحيح.
٢ أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، قال الألباني صحيح.
٣ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، وقال: حديث حسن غريب.
٤ أخرجه أحمد في مسنده: مسند عمر بن الخطاب، وصححه الألباني.
٥ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) البِتْع هو نبيذ العنب .

ب ( ) الضروريات هي حفظ الدين والمال والعقل والنفس والنسل .

جـ ( ) يجوز الجلوس في مجلس يشرب فيه الخمر إذا التزم الجالس بعدم الشرب .

د ( ) يحرِّم الإسلام كثير الخمر وقليله .

٢ أذكر حكمتين لتحريم الخمر في الإسلام .

٣ أبين الضرر الاجتماعي والصحي الذي يسببه شرب الخمور .

٤ أوضح عقوبة شارب الخمر في الشريعة الإسلامية .

٥ أعلل ما يأتي :

أ حرّم الإسلام كلَّ مسكر .

ب ألغتِ الولايات المتحدة الأمريكية حظر الخمور بعد مدة قصيرة من إقراره .

الدرس

٦

الساعي على الأرملة والمسكين

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ، -وأحسبُه قال: - «وكالقائمِ لا يَفتُر، وكالصائمِ لا يُفطر»[1].

شرح الحديث:

هذا حديث عظيم من أحاديث رسول الله ﷺ ورد بروايات كثيرة صحيحة، وفي هذه الرواية شك القعنبي فقال: -أحسبه قال: -، أمّا الرواة الآخرون فقد ذكروا الحديث دون شك: «القائم الذي لا يفتر، والصائم الذي لا يفطر»، وهذا يدل على دقة رواة الحديث وورعهم.

ويلفت الحديث الشريف النظر للضعفاء والمساكين، ومَنْ في حكمهم مِمَّن انقطعت بهم السبل، وابتلوا بالفقر وقلة المال، أو بفقد السند والمُعين والأنيس من زوج وابن وأخ وغيرهم، وبيّن أنّ هؤلاء بحاجة للمساعدة والمعاضدة من الجسد الواحد من إخوتهم وأخواتهم الذين عافاهم الله من البلاء، لقول رسول الله ﷺ: **«مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَنْ فرّج عن مسلمٍ كُربة فَرّج الله عنه كُربة من كُرَبِ يوم القيامة»**[2].

السعيُ على الأرملة والمسكين:

قوله ﷺ: الساعي على الأرملةِ و المسكين:

الساعي: هو الذي يعمل ويجدّ السير في الأرض ابتغاء الرزق الحلال، فينفقه على نفسه وعياله، ويخصص منه جزءاً لِمَنْ ضاقت بهم سبل العيش، شكراً لله على ما أعطاه وتفضَّل به عليه.

وفي التعبير بلفظ «**السعي على الأرملة**» دعوة لتربية النفس وتوطينها على تولي أمر أمثال هذه من الأرامل والمحتاجين والاستمرار في إعالتهم وإعانتهم، وتوفير العيش الكريم لهم؛ ومن مستلزمات ذلك تأسيس مورد رزق لهم يعمل على إعالتهم بشكل مستمر، مع تكوين رأي عام في المجتمع يقوم بتلك المهمة أيضاً، ويدخل في باب السعي رعايةُ مصالحهم وتنميةُ أموالهم بأمانة ونزاهة، خاصة النساء والأيتام الذين مات معيلهم، وترك لهم المال ولا يستطيعون بمفردهم تنميته.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٨٠.

والأرملة لغةً: من الإرمال وهو الفقر، نقول: أرمل الرجل: إذا فني زاده، والأرامل: المساكين من رجال ونساء، وهو بالنساء أخصُّ وأكثر استعمالاً.

والأرملة اصطلاحاً: هي المرأة التي مات زوجها، حيث يصيبها الإرمال وذهاب الزاد بفقد الزوج، الذي هو في العادة مَنْ يأتي بالمال ويقوم بالنفقة.

وبدأ الحديث الشريف بالأرملة؛ لأنّها أكثر تضرُّراً في حال الإرمال، حيث الحِمل الثقيل لما ترك لها الزوج من الأبناء والبنات، وما يتبع ذلك من صعوبة وحرَج في الخروج لطلب الرزق، وما قد يصاحب ذلك من استغلال للحاجة والضعف، ومساومة على الرزق، فقد تُساوَمُ عن نفسها ودينها من أجل لقمة العيش، خاصة إن كانت صغيرة السن، لهذا كانت رعايتها والسعي في قضاء حاجتها مُقَدَمَةً على رعاية المسكين ومَنْ كان في حكمه. ففي ذلك حماية لها ولأبنائها؛ فتتفرغ لتربيتهم والقيام على شؤونهم، فمن المعلوم أنّ الأبناء الذين يفقدون والدهم تصعب تربيتهم ومعيشتهم واستقامتهم في الغالب، فكيف إذا انشغلت الأمُّ عنهم بتحصيل الرزق والخروج عنهم؟ ففي هذه الحالة يصبح المصاب مصابين: فقْدُ الأب والمعيل والمربّي، ثم التشتت والضياع المترتب على خروج الأمّ وغيابها للعمل وتحصيل الرزق.

■ قوله: (والمسكين):

المسكين: هو الفقير؛ لأنّ المصطلحين معناهما واحد إذا انفردا؛ فالفقير مسكين والمسكين فقير، في حين يختلف المعنى إذا اجتمعا في سياق واحد؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ التوبة: ٦٠، مع الاتفاق على أنّهما محتاجان؛ لذا اختلف العلماء في أيّهما أشد حاجة؛ ولكل منهم دليله.

وخلاصة القول: إنّ المسكين هو الذي لا يملك قوت يومه، أو يملك قوت يومه ولكن لا يكفيه، أو الذي لا يملك شيئاً ولا يسأل الناس، وهذا هو التعريف المشهور بحسب ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «**ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي يطوف على الناس؛ فتردّه اللّقمة واللّقمتان، والتّمرة و التّمرتان**»، قالوا: **فمَن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنىً يُغنيه، ولا يُفطنُ له فيُصدّقُ عليه، ولا يسألُ الناس شيئاً**»[1]، وبذلك يظهر أنَّ المقصود بالمسكين كل محتاج، فيدخل في حكمه الفقير وكل مَنْ يعوز كأسر الشهداء والأسرى والمعاقين والجرحى وكل مَنْ يشبههم من الذين لا يكفي ما يجمعونه لإعاشتهم. وهذا ينطبق على شريحة كبيرة من الناس في بلادنا وخارجها.

والمطلوب مِمَّنْ فتح الله عليه أبواب الرزق وأعطاه مِمّا عنده أن يتكفل بإعالة هؤلاء الضَّعَفة ومَنْ في

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاه، باب قول الله تعالى.

حكمهم، مِمَّنْ هُدّمت مساكنهم وتشردوا، وفقدوا آباءهم وأمهاتهم، ومِمَّنْ ضحّوا بالأبدان والأعمار في السجون، وأن يضمنوا لهم الرعاية وأسباب العيش الكريم.

■ **أجر الساعي على الأرملة والمسكين:**

بيَّن الحديث الشريف الأجر العظيم للساعي على الأرملة والمسكين، فجعل له ثلاثة أصناف من الأجر:

الأول: **أجر المجاهد في سبيل الله:** وذلك لأنّ المال شقيق الروح، و في بذله مخالفة للنفس وطلبٌ للجنة، فكما أنّ المجاهد في سبيل الله خرج من ماله وترك أهله ووطنه، وغالبَ نفسه الأمَّارَةَ بالسوء ليحمي حمى الأمة والوطن ويحفظ الأمن الخارجي، فكذلك مَنْ أنفق في سبيل الله وسعى في خدمة الضعفاء والمساكين، فهو بذلك يحفظ الأمن الداخلي للمجتمع؛ فالمنفق والساعي على الأرملة والمسكين ومَنْ في حكمهم قدّم لهؤلاء الحماية من الاستغلال تحت وطأة الفقر، وساعد على حماية قيم أبناء المحتاجين وأخلاقهم من أن يُستغلوا مقابل دريهمات تقدَّم لهم من المتربصين.

الثاني: **أجر القائم الذي لا يفتر:** والقائم: هو ذاك العابد الخاشع الذي يتجافى بجنبه عن المضجع، فلا تغفو عينه عن قيام الليل والتهجد والذكر، إنّه المؤمن الذي يطيل الركوع والسجود وقراءة القرآن والبكاء من فَرْطِ الخشوع في ظلمة الليل، إنّه في طاعة عظيمة لله ومجاهدة للنفس لا يقدر عليها إلا أولو العزم، ومع هذا فإنّ القائم على رعاية الأرامل والمساكين ومَنْ في حكمهم يساوي في الأجر كل هذا القيام الطويل.

وفي هذا الحديث توجيه إلى أنّ رعاية فرد واحد من أبناء الأمة يعدل كل طاعاتٍ لا تتعدى نفس صاحبها إلى سلوك عملي نافع للمجتمع، فعلى قائم الليل أن يستشعر أن في الأمة مَنْ يعاني من الحرمان والفقر ويقاسي حر الصيف و برد الشتاء، وأنّ على مَنْ يصوم الدهر تطوعاً أن يستشعر ملايين الجوعى من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب؛ فيترجم جوعه وعطشه بإطعام محتاجي هذه الأمة وسقايتهم، فقد اعتبر القرآن الكريم ذلك نوعاً من إحياء النفوس؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢.

الثالث: **أجر الصائم الذي لا يفطر:** فيه لفت نظر لصاحب همة عظيمة في الطاعة قلَّ نظيرها، وإنّ طاعةً بهذا المستوى لهي طاعة ثقيلة على النفس لا يقوى عليها إلا أصحاب الهمم العالية والعزائم القوية والإيمان الراسخ، ومع هذا فكل إنسان رعى وساعد ضَعَفة الأمة من مساكين وأرامل وغيرهم يساوي في الأجر صاحب هذه العبادة العظيمة.

لذا فإنّنا نحذِّرُ من أن تقوم بعض الجمعيات والمؤسسات والنوادي تحت شعار الأعمال الخيرية على استغلال حاجة المساكين والفقراء وأبناء الشهداء والأسرى والجرحى والمعاقين، وأن تتغلغل في بيوتهم وأفكارهم، محاولةَ حرفهم عن عقيدتهم ودينهم وسلوكهم القويم؛ لذا فإنّه يتحتم على أغنياء هذا الوطن -وهم كُثُر- أن يتبنّوا هذه الشريحة الكبيرة من الفقراء والمحتاجين والأرامل والمساكين، ويوفروا لهم الحياة الكريمة.

يستفاد من الحديث:

١ الاهتمام بالأرامل يترتب عليه عظيم الأجر.

٢ ضرورة سد حاجات الفقراء والمساكين.

٣ العمل في خدمة ضعفاء الأمة يساوي الجهاد في سبيل الله وقيام الليل وصيام النهار.

٤ المحتاجون هم الثغرة التي يمكن زعزعة المجتمع من خلالها في حال استغلال عوزِهم.

التقويم

١ أكتب حديث رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة . . . . . الحديث».

٢ أختار رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١ يتفق الفقير والمسكين في أنّ كلاً منهما:

أ قادر على العمل.

ب عاجز عن العمل.

جـ محتاج للمساعدة.

١ أجر الساعي على الأرملة والمسكين:

أ أكبر من أجر المجاهد في سبيل الله.

ب أكبر من أجر الصائم القائم.

جـ مساوٍ لأجر المجاهد في سبيل الله والصائم القائم.

٣ أبين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من: الأرملة، المسكين، الفقير.

٤ أعلل ما يأتي:

أ ورود عبارة: (وأحسبه قال) في الحديث.

ب تقديم رعاية الأرملة على المسكين في الحديث الشريف.

٥ أشرح قول الرسول ﷺ: «**كالقائم لا يفتُر**».

٦ أعدد ثلاثة دروسٍ مستفادةٍ من الحديث الشريف السابق.

الدرس

٧

ذوو الاحتياجات الخاصّة

روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: «رأى سعد ﵁ أنّ له فضلاً على مَنْ دونه، فقال النبي ﷺ: «هل تُنصرون إلاّ بضعفائِكم»[1].

راوي الحديث:

سعدُ بن أبي وقاص الزّهريّ: أحد العشَرة المبشّرين بالجنّة، ومن السابقين الأوّلين، شهد بدراً، وأحد الستة من أهل الشورى المكلفين من عمر بن الخطاب ﵁ لاختيار خليفةٍ بعده، هو أول مَنْ رمى بسهمٍ في سبيل الله، يُعتبر من أخوال النبيّ ﷺ، وما جَمع رسول الله ﷺ أبويه لأحدٍ قبْله حين قال له: ارمِ فداك أبي وأمي، كان مستجابَ الدعوة، توفّي بالعقيق -على بُعد سبعة أميال من المدينة- سنة خمس وخمسين للهجرة، وابنه مصعب الذي روى الحديث يعتبر من التابعين.

أتعلم:

مصطلح «ذوو الاحتياجات» الخاصة لا يقتصر على من عنده إعاقة في جسمه، بل يشمل المتفوقين والمبدعين، وقد اقتصر الحديث في الدرس على أصحاب الإعاقات والضعفاء، لأن حاجتهم للرعاية أكثر.

شرح الحديث:

نتناول في هذا الدرس فئةً كبيرةً من الناس ابتلاهم الله عز وجل بابتلاءات متنوعة في أجسادهم أو عقولهم، وهم مَنْ يُطلق عليهم ذوو الاحتياجات الخاصة أو المعاقون، ويطلق على هذه الفئة في غالب الأحيان أصحاب الإعاقة، فماذا نفهم من هذا المصطلح؟

عُرّفت الإعاقة بأنها: إصابة الشخص بعجز كلي أو جزئي، خَلقي أو غير خَلقي، وبشكل مستقرّ في أيٍّ منْ حواسّه أو قدراته الجسدية أوالنفسية أو العقلية إلى المدى الذي يحُد من إمكانية تلبية متطلبات حياته العادية في ظروف أمثاله من غير المعاقين.

١ أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب مَنِ استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ورد بروايتين: مرسلة ومتصلة.

فهؤلاء بحاجة ماسّة للرّعاية والإحسان للتخفيف من مُصابهم، ومساعدتهم على التعامل الإيجابي مع ابتلاءاتهم، والإفادة ممّا قد يقدمه بعضهم للمجتمع والأمة. إنّ العناية بهؤلاء والقيام بأمرهم من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أَثِمَتِ الأمة جمعاء، وهؤلاء الناس يعانون من ضعف أو بطء في مسايرة أقرانهم من الأصحّاء. وغالباً فإنّ الحروب والفقر وزواج الأقارب من أهم أسباب الإصابة بالإعاقات.

ففي عام ٢٠٠٠م قَدّرت منظمة العمل الدوْلية عددهم بـ(٦١٠) مليون نسمة، يعيش (٤٠٠) مليون منهم في الدول النامية؛ أي الفقيرة والمتأخرة، وأنّ نسبة زيادتهم مستمرة لاستمرار الحروب والأمراض والفقر. أمّا في فلسطين فإنّ نسبة الإعاقة ٤ ٪، وإنّ ٤٨ ٪ منهم دون سن الثامنة عشرة، وأنّ نسبة الإعاقات في فلسطين تعد الأعلى على مستوى العالم، والسبب في ذلك هو الاحتلال الإسرائيلي وممارساته القمعية.

■ صور الإعاقة المذكورة في القرآن الكريم والسنّة المطهرة:

لقد ذكر القرآن الكريم والسنّة صوراً عديدة للإعاقة تتمثل في الآتي:

١ الصّمَم والبَكَم والعَمى في قوله تعالى: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ البقرة: ١٨.

٢ العَرَج في قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ ﴾ النور: ٦١.

٣ البَرَص في قوله تعالى: ﴿ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾ المائدة: ١١٠، ويُقصد بالأكْمه: الذي يولد أعمى.

٤ الإعاقات العقلية؛ كقوله ﷺ: «**رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**»[١].

■ رعاية الإسلام للمعاقين:

بلغت عناية الإسلام بالمعاقين حداً سامياً، ولا أدلّ على ذلك من قصة الصحابي الجليل ابن أم مكتوم رضي الله عنه الذي نزلت فيه الآيات الكريمة: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ عبس: ١ - ٢، مع أنّ هذا الأعمى لم يرَ عبوس رسول الله ﷺ في وجهه، ورغم ذلك فقد عاتبه ربه عتاباً شديداً لإعراضه عن هذا الأعمى؛ لأنّ قضاء حوائج أصحاب الإعاقة مُقدم على قضاء حوائج الأصحّاء، إنّها آياتٌ تهز الوجدان وتُبكي القلوب والعقول، وتُلفت النّظر لكرامة هؤلاء عند خالقهم سبحانه، لذا كان رسول

١ أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، وقال الألباني: صحيح.

الله ﷺ حين يلقاه ابن أمّ مكتوم بعد تلك الحادثة يفرش له عباءته ويقول له: أهلاً بمَنْ عاتبني فيه ربي، وقد ورد عنه ﷺ قوله: «**أبغوني الضعيف، فإنكم إنّما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»[1]، ومعنى الحديث: اطلبوا لي الضعيف، وفي طلبه غاية الإكرام له واحترامه وتقريبه من الرسول ﷺ والمؤمنين، لقد كان رسول الله ﷺ يتيمن بضعفاء المهاجرين في القتال فقال: «**إنّما ينصر اللهُ هذه الأمةَ بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[2].

قال العلماء: الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة لخلو قلوبهم من التعلق بزخارف الدنيا، فالضعيف إذا رأى عجزه تبرأ من الحول والقوة، واستعان بالله بخلاف القوي الذي تعجبه نفسه حين يراها قويةً، لقد أَسّست هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مبدأ احترام المعاق، وجعلت ذلك قيمة دينية كبرى في ثقافتنا. فقد حرّم الإسلام احتقارهم والاستهزاء بهم بسبب بلائهم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ الحجرات: ١١، ولا يحلّ أن نجعل ما أصابهم سبباً للتَّندُّر أو التّقليل من شأنهم، بل علّمنا أن نحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به، مع إيماننا أنه قادرٌ وحده على شفائهم وابتلاء الأصحّاء، فالكل خاضع لمشيئة الله، ضعيفٌ أمام قدرته وجَبروته.

■ اهتمام الإسلام بأصحاب الإعاقات:

١ قول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه في حق الأعمى: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة، يريد عينيه**»[3].

٢ استخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة مرتين مع أنّه أعمى، وكان أيضاً مؤذن رسول الله ﷺ.

٣ كان المسلمون إذا غَزوْا خلّفوا زمْناهم (أي أصحاب الأمراض المزمنة والمعاقين)، وكانوا يسلّمونهم مفاتيح أبوابهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ممّا في بيوتنا.

٤ كان الرسول ﷺ يأتيهم في بيوتهم يصلي فيها بناءً على رغبتهم. وكذلك دعا النبي للمرأة التي كانت تصرع بالجنة، وخيّرها بين الجنة والشفاء فاختارت الجنة.

٥ كرّم الله أهل البلاء بأن خفّف عنهم بعض الالتزامات الشرعية، فرفع عن الأعمى التكليف الذي يشترط فيه البصر، ورفع عن الأعرج التكليف الذي يشترط فيه المشي، وكذلك رفع عن المريض ما لا يستطيعه؛ فالحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر؛ قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ النور: ٦١.

---

١ أخرجه النَّسائي: كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، قال الألباني: صحيح

٢ أخرجه النَّسائي: كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، قال الألباني: صحيح.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى.

٦ كَفل الإسلام حفظ حقوقهم، وفرض على ولاة الأمور تأمين الكفاية المعيشية لهم، في حين كان نظراؤهم في أوروبا يكافَؤون بقتلهم؛ لأنّه لا فائدة تُرجى منهم.

٧ أوجب الإسلام رعاية المعاق وتقديمه على إخوته الأصحّاء؛ فأجاز العلماء تمييزه في العطيّة أو الوصية له في الميراث مراعاة لحاله ومساعدة له في الاندماج.

■ عناية سلف الأمة ومسؤوليها بالمعاقين:

إنّ تاريخنا الإسلامي ليحفل بصور مشرقة في رعاية هؤلاء لم تسبقهم إليها أيّ أُمّة من الأمم، حيث اعتُبروا معدمين وعالة على الدولة، ولأنّ إصابتهم بقضاء الله وقدره، فقد تحمّلت الدولة الإسلامية على مدى الزمان أعباء حاجاتهم وعاملتهم برفق، فجعلت جزءاً مقدَّراً من ريع الأوقاف يُصرف على المقعدين والعجزة والمكفوفين وأمثالهم من أصحاب الإعاقات، **ومن الأمثلة على ذلك**:

١ في عهد عمر بن عبد العزيز قام بإحصاء المعاقين، وجعل لكل نوع من أنواع الإعاقات موظفين يقومون على خدمتهم ورعايتهم، فجعل لكل أعمى قائداً ولكل مقعدٍ خادماً يقوم على تنظيفه ومساعدته. وفي عهد الوليد بن عبد الملك أنشأ لهم المستشفيات ووظف فيها الأطباء، وكان يعطي العميان رواتب.

٢ اعتنى أسلافنا بذوي الإعاقات العقلية (المجانين والمعتوهين)؛ ففتحوا لهم المشافي ودور الرّعاية ووظفوا لهم مَنْ ينظفهم ويُلبسهم، ويُسمعهم القرآن.

٣ بروز نماذج من هؤلاء من الصحابة والقادة والشعراء والأدباء والخلفاء تميّزوا على غيرهم من الأصحّاء، **ومنهم**:

- الصحابي عمران بن الحصين ﷺ الذي أصيب بالفالج (الشلل).
- التابعي الأحنف بن قيس الذي كان أعوج الرّجلين وأعور، ومع هذا ضُرب به المثل في الحلم، وكان سيد بني تميم، وقد عوتب معاوية بن أبي سفيان في مداراته رغم أنّه من أنصار علي ﷺ، فقال: هذا الذي إذا غضب، غضب لغضبه مائة ألف فارسٍ من بني تميم لا يسألونه فيمَ غضب، فانظر لأقدار هؤلاء عند أقوامهم رغم إعاقاتهم، لقد امتازوا بأخلاق وميزات في القيادة رفعت من درجتهم واحترام الناس لهم.
- وقد برز من أصحاب الإعاقات كذلك: معاذ بن جبل الذي كان أيضاً سيداً في قومه رغم أنه كان أعرج.

- مالك بن أنس إمام دار الهجرة كان بوجهه برَص .
- الإمام الترمذي كان أعمى ، والزمخشري كذلك والعالم المشهور عطاء بن أبي رباح مفتي الحرم وعالم الحديث والفقيه المشهور ، كان أشلّ وأفطس وأعرج ثمّ عمي بعد ذلك ، فهؤلاء لم تمنعهم الإعاقة من السيادة والريادة والعلم .

أصحاب الإعاقة والجهاد:

لقد ضرب بعض المعاقين أروع الأمثلة في التضحية والفداء ، وقصة الصحابي الجليل عمرو بن الجموح مثال على ذلك ، فقد كان أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا ، فلما أراد ﷺ أن يتوجه إلى أُحد قال له بنوه : إنّ الله عز وجل قد جعل لك رخصة فلو قعدت فنحن نكفيك فقد وضع الله عنك الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّ بَنيَّ هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك ، والله إنّي لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، وقد استشهد رضي الله عنه في معركة أحد .

المعاقون في بلادنا:

وفي بلادنا أُعطي أصحاب الإعاقات الحق في الالتحاق بالمؤسسات التربوية والتعليمية والجامعات ، ووفّرت لهم المناهج والوسائل التربوية والتعليمية المناسبة ، ولهم الحق في التعليم بأنواعه ومستوياته المختلفة ، وتم إعداد كادر تربوي مؤهل لتعليمهم ، وقد تم تعيين عدد من المعلمين في مديريات الضفة وغزة ؛ ليكوِّنوا نواة فريق تعليمي للمعاقين ، ووفرت الوزارة أيضاً كتباً خاصة للطلبة المكفوفين بلغة بريل لجميع الصفوف ، ولهم في القانون حقوقٌ كثيرة محفوظة .

يستفاد من الحديث:

١ الحض على التواضع واجتناب الكِبْر .

٢ الأمة تنصر ببركة دعاء الصالحين والضعفاء .

٣ عناية الإسلام بذوي الاحتياجات الخاصة وتقريبهم ، واعتبار الإحسان إليهم واجب .

٤ دمج المعاقين في الحياة الاجتماعية والإفادة من قدراتهم .

٥ تاريخنا الإسلامي حافل بصور مشرقة في العناية بأصحاب الإعاقة .

التقويم

١ أكتب الحديث : «**رأى سعد** . . . . . **آخر الحديث**» .

٢ أتحدث في ثلاثة أسطر عن الصحابي سعد بن أبي وقاص .

٣ أذكر معنى المفردات والمصطلحات الآتية : أبغوني ، البرص ، الأكمه ، الإعاقة .

٤ أبين في أربع نقاط احترام الإسلام لأصحاب الإعاقة .

٥ أذكر ثلاثة نماذج لمسلمين هزموا العجز .

٦ أعلل ما يأتي :

أ ساد الأحنف بن قيس قبيلته رغم إعاقته .

ب أجاز الإسلام تمييز المعاق في العطية والوصية .

جـ نسبة الإعاقة العالية في فلسطين .

الدرس

٨

الاهتمام باليتيم واجب شرعي (حفظ وشرح)

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كافلُ اليتيمِ، له أو لغيره، أنا وهو كهاتينِ في الجنةِ، وأشارَ مالك بالسَّبابةِ والوُسطى**»[1].

شرح الحديث:

توجيه الإسلام واهتمامه بالتكافل الاجتماعي:

حرص الإسلام على بناء المجتمعات المسلمة بناءً سليماً قويماً، قاعدته المحبة والإخاء، وأركانه التعاون والتعاضد والتكافل والصلات. كما عني الإسلام بالمجتمعات المسلمة كي تنأى بنفسها عن الجريمة والمفاسد، وعن كل ما يخل بأمن المجتمع وسلمه، وعن الأمراض السلوكية التي تسبب هلاك المجتمعات واندثار الأمم والشعوب وزوالها؛ يقول الشاعر:

إنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت　　فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

فجاءت عناية الإسلام بالفرد كالعناية بالمجتمع؛ لأنّ الأفراد -في نهاية المطاف- هم الذين يشكلون المجتمعات والأسر، فإذا حفظت للفرد كرامته، وتحقق له الأمن والطمأنينة، وكان مكتفياً في معيشته من الناحية المادية، أصبح فرداً سوياً إيجابياً صالحاً في نفسه ومصلحاً لمجتمعه.

ومن مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام رعاية اليتيم.

رعاية اليتيم:

قوله ﷺ: «**كافل اليتيم**»؛ أي القائم على أمر اليتيم وشأنه من النفقة والكسوة والتأديب والتربية والتعليم، وقبل ذلك الحنوّ والعطف، سواء أكان هذا القيام من مال الشخص الذي لديه اليتيم وتحت وصايته أم من مال اليتيم نفسه، وقوله ﷺ: «**له أو لغيره**»؛ أي سواء أكان اليتيم من أقارب الكافل كجده وأمه وجدته، وأخيه وأخته، وعمه وخاله، وعمته وخالته، وغيرهم من أقاربه. أو «لغيره» كأن يكون الكافل ليس بينه وبين اليتيم صلة قرابة.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، ح رقم ٢٩٨٣.

وقوله ﷺ: «**أنا وهو كهاتين في الجنة**»، وأشار مالك بالسبابة والوسطى. وهذا من باب الترغيب في رعاية اليتيم والاهتمام به والقيام على شؤونه، إذ لكافل اليتيم الأجر العظيم والثواب الجزيل، فجزاء كفالة اليتيم والإحسان إليه دخول الجنة بفضل الله ورحمته.

وقد وردت نصوص عديدة ترغّب في كفالة اليتيم والإحسان إليه، وأشار مالك (أي الإمام مالك رحمه الله تعالى) بالسبابة، وهي الإصبع التي تلي الإبهام، والوسطى التي تلي السبابة. وفي ذلك كناية عن قرب المنزلتين: منزلة الرسول الكريم ﷺ، ومنزلة كافل اليتيم؛ وذلك إشارة إلى عظم الأجر والثواب المترتب على هذا العمل العظيم.

■ أثر فقدان الأم:

ومن الجدير بالذكر أنّ المصطلح الشرعي لليتيم هو (الذي فقد والده)، كون الوالد هو المعيل والمربي وقائد الأسرة، إلا أنّ فقدان الأم لا يقل في آثاره عن فقدان الأب؛ وذلك لدورها في زرع الحنان والدفء في قلوب أولادها، ودورها العظيم في التربية الذي قد يفوق دور الأب كونها ألصق بأبنائها وأكثر مكوثاً معهم في البيت.

وتتفاقم مشكلة بعض الأيتام إذا كانوا ممّن فقدوا آباءهم وأمهاتهم معاً، كما يحدث في بعض الحروب أو الكوارث؛ كالزلازل والفيضانات؛ ما يترتب على ذلك وجود أولادٍ بلا أب معيل ولا أمٍّ ترعى.

■ واجب الدولة في رعاية الأيتام:

ممّا سبق يتبين لنا حجم المشكلة التي ألّمت باليتيم، وحجم الأخطار المحدقة به، سواءً من رفاق السوء، أو الضياع؛ ما يلقي عبئاً كبيراً على الدولة في احتضان هذه الشريحة من المجتمع، وذلك بإنشاء المؤسسات التي ترعى الأيتام وتهتم بهم؛ كالمدارس ومؤسسات الرعاية والكفالة، وكذلك حث المجتمع على تبني هؤلاء الأيتام والإحسان إليهم.

■ خصوصية المجتمع الفلسطيني في هذا الجانب:

لا بد هنا من الإشارة إلى ضرورة التكافل الاجتماعي في مجتمعنا الفلسطيني، حيث ترزح بلادنا تحت نير الاحتلال؛ مما يجعل من شعبها بالضرورة شعباً مجاهداً مرابطاً مدافعاً عن هذا الثرى المقدس وعن هذه الأرض الطاهرة؛ ما يعني سقوط عدد كبير من الشهداء الأبرار طوال هذه المرحلة من التحرر، فتكثر حالات الترمُّل واليُتم؛ ما يستدعي بالضرورة الاهتمام الكبير بهذين الصنفين في مجتمعنا الفلسطيني على وجه التحديد.

التقويم

١ أشرح قوله ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره**».

٢ أبين كيف اهتم الإسلام باليتيم.

٣ أعلل ما يأتي:

أ حرص الإسلام على بناء النسيج المجتمعي الإسلامي بناء قوياً سليماً.

ب ضرورة اهتمام الدولة بالأيتام.

٤ أوضح أهمية التكافل الاجتماعي في مجتمعنا الفلسطيني مع اليتيم.

الدرس

٩

آداب الاستئذان (حفظ وشرح)

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنَّه مذعورٌ، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً فلم يؤذنْ لي، فرجعتُ، فقال: ما منَعَك؟ قلتُ: استأذنتُ ثلاثاً فلم يُؤْذنْ لي، فرجعت، وقال رسول الله، ﷺ: «إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَنْ له فلْيرجع». فقال: واللهِ! لَتُقيمنَّ عليه ببينةٍ، أَمِنْكُمْ أحدٌ سَمعَه من النبي ﷺ؟ فقال أُبيَّ بنُ كعبٍ: واللهِ! لا يقومُ معكَ إلا أصغرُ القومِ، فكنتُ أصغرَ القومِ، فقمتُ معه، فأخبرتُ عمرَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك[1].

راوي الحديث:

أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، له ولأبيه صحبة، واستُصغِر يوم أُحد فلم يؤذن له بالخروج، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير عن الرسول ﷺ، مات بالمدينة سنة ثلاث -أو أربع أو خمس- وستين، وروى له الجماعة.

الصحابة المذكورون في الحديث:

- أبو موسى هو أبو موسى الأشعري. **(عبدالله بن قيس)**.
- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أمير المؤمنين، مشهور جمُّ المناقب، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصف، وروى له الجماعة.
- أُبيُّ بن كعب هو ابن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيد القُراء، ويكنى بأبي الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختُلف في سنة وفاته اختلافاً كبيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: غير ذلك، وروى له الجماعة.

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف يدور حول قصة استئذان أبي موسى الأشعري على عمر بن الخطاب ﷺ ورجوعه عندما لم يأذن له، وتعليل ذلك باتباع سنَّة النبي ﷺ الداعية إلى استئذان المسلم ثلاثاً، ومن ثم العودة إذا لم يؤذن له.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً.

وفي الحديث قضيتان مهمتان: أدب الاستئذان، وقبول خبر الواحد، وفيما يأتي بيانهما:

■ أولاً: أدب الاستئذان:

قوله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له، فليرجع**»: أجمع العلماء أنّ الاستئذان مشروع، وتظاهرت به دلائل القرآن والسنّة وإجماع الأمة.

وهذا دليل على شمولية التشريعات الإسلامية لكل جوانب الحياة، فهي لا تترك شأناً من شؤون الحياة إلا وجعلت له حكماً شرعياً، وقد رتبت سنّة النبي ﷺ للتواصل الاجتماعي وللزيارات بين الناس أحكاماً، وجعلت لذلك آداباً، فلا يجوز لإنسان أن يقتحم حرمة البيوت، أو أن يدخلها دون إذن أصحابها، وفي ذلك حفظ لخصوصيات الناس وستر عوراتهم.

والسنّة أن يُسَلِّمَ، ويستأذن ثلاثاً لما ثبت من قوله ﷺ وفعله، فأمّا ما ثبت من قوله ﷺ فحديث الدرس الذي رواه البخاري، وأمّا ما ثبت من فعله ﷺ فما رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال[1]: «**خرجنا مع النبي ﷺ، وهو يريد سعد بن عبادة حتى أتاه، فسلّم فلم يؤذن له، ثم سلّم الثانية ثمّ الثالثة، فلم يؤذن له، فقال: «قضينا ما علينا»**، ثم رجع، فأدركه سعد فقال: «**يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما سلَّمتَ من مرة إلاّ وأنا أسمع وأردّ عليك، ولكن أحببتُ أن تكثرَ من السلام عليَّ وعلى أهل بيتي**»؛ فثبت الاستئذان ثلاثاً من قوله ﷺ ومن فعله.

ويُجمع بين الاستئذان والسلام كما صرح به القران الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ ﴾ النور: ٢٧، حتى تستأنسوا؛ أي تستأذنوا ممّن يملك الإذن، وعبَّر عن الاستئذان بالاستئناس، وهي من لفتات القرآن الجميلة؛ ليدلل على أنَّ الأصل في زيارة الناس في بيوتهم هو إدخال الأُنس على قلوبهم، فلا يطرق الباب بقوة أو عنف، ولا يدخل دون استئذان؛ لأنّ في ذلك مفاجأة لأصحاب البيت، واطلاع على عوراتهم أو خصوصياتهم دون إذن، ولذلك لا بدّ من الاستئناس الذي هو الاستئذان بلطف.

واختلف العلماء في أيّهما يقدّم؟ السلام أم الاستئذان، والصحيح أنّ الذي جاءت به السنّة، وقاله المحققون: أن يقدّم السلام، فيقول: السلام عليكم، أأدخل؟

وقيل: يقدّم الاستئذان، وقام بعض العلماء بالتفصيل؛ كالماوردي من الشافعية، حيث قال: إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قدّم السلام، وإلا قدّم الاستئذان.

---

١ رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢/ ٥٢٢/ ٥٢٣، باب إذا سلم الرجل على الرجل في بيته وصححه الالباني.

■ هل تجوز الزيادة في الاستئذان على ثلاث مرات؟

إذا استأذن فلم يؤذن له، وظن أنَّ صاحب البيت لم يسمعه، فهل تجوز الزيادة على ثلاث مرات؟ اختلف أهل العلم في ذلك:

قال جمهور أهل العلم: لا يجوز الزيادة في الاستئذان على ثلاث؛ لظاهر قوله ﷺ في حديث الباب: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً . . .**»، وقال بعض الفقهاء: تجوز الزيادة على ثلاث؛ لأنّ التكرار للإعلام، فإذا غلب على ظنّ المستأذن أنّ صاحب البيت لم يسمع جاز له أن يزيد على الثلاث، ولذا كان ﷺ إذا تكلم أعاد ثلاثاً؛ ليتحقق من وصول كلامه إلى المستمع.

■ ثانياً: قبول خبر الواحد:

قول عمر رضي الله عنه: «والله لتقيمنّ عليه ببينة»:

ذهب البعض إلى أن خبر الواحد ليس بحجة، والجمهور على أنه حجة، وهو ما عليه العمل. وقد احتج بقول عمر رضي الله عنه مَنْ زعم أنّ عمر لا يقبل خبر الواحد، ولا حجة له فيه؛ لأن قول عمر رضي الله عنه هو من باب الاحتياط والتثبت ممّا يضاف إلى النبي ﷺ حتى لا يسارع الناس أو يستعجلوا بالنقل على لسان النبي ﷺ فيكون في ذلك فرصة للمبتدعين والكذابين للاجتراء بالكذب على النبي ﷺ، ولا يفهم من ذلك أن عمر رضي الله عنه يشكك في رواية أبي موسى رضي الله عنه، ولكنه يريد أن يعلِّم الناس.

أتعلّم:

خبر الواحد هو: ما رواه واحد أو اثنان أو ما لم يبلغ حد التواتر.

ويفهم من كلام عمر رضي الله عنه وطريقته في التثبت من صحة خبر الواحد، أنه متى ثبتت صحة خبر الواحد بطرق التثبت المعتبرة يؤخذ به.

■ ما يستفاد من الحديث:

١ أدب الاستئذان ثلاث مرات، ولا يكرر إلا إذا ظنّ أنّه لم يسمع.

٢ يجمع بين السلام والاستئذان، ويقدّم السلام على الاستئذان.

٣ كان عمر رضي الله عنه يقبل خبر الواحد، وما وقع منه في قصة أبي موسى الأشعري هو من باب الاحتياط والتثبت ممّا يضاف إلى رسول الله ﷺ.

٤ قد يخفى على العالم المتبحر من العلم ما يعلمه من هو دونه، ولا يقدح ذلك في وصفه بالعلم والتبحر فيه.

٥ من مهمة ولي الأمر والعلماء الاحتياط والتثبت ممّا يضاف إلى الرسول ﷺ.

التقويم

١ أكمل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : «**كنت في مجلسٍ من مجالس الأنصار . . . . . الحديث**» .

٢ أترجم لراوي الحديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

٣ أختار الجواب الصحيح فيما يأتي :

١ من آداب الاستئذان :

أ أن يستأذن مرتين .

ب أن يستأذن ثلاث مرات .

جـ أن يستأذن فوق ثلاث مرات .

٢ طَلَبُ عمر ﷺ من أبي موسى أن يأتي ببيّنة يدل على أنّ :

أ عمر ﷺ يريد الاحتياط لحديث رسول الله ﷺ، لا رد خبر الواحد .

ب عمر ﷺ لا يقبل خبر الواحد .

جـ عمر ﷺ يقبل خبر الواحد لكن مع وجود دليل معه .

٤ أبين رأي العلماء في مسألة تقديم السلام على الاستئذان .

٥ أبين مراد عمر ﷺ من قوله لأبي موسى الأشعري : والله لتقيمن عليه ببيّنة .

٦ أعلل ما يأتي :

أ عبَّر القرآن الكريم عن الاستئذان بالاستئناس .

ب أجاز بعض العلماء الزيادة على الثلاث في الاستئذان .

٧ أذكر ثلاث فوائد مستنبطة من الحديث .

الدرس

١٠

أمر المؤمن كله خير (حفظ وشرح)

عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا للمؤمنَ، إن أصَابتْهُ سرّاءُ شكرَ، فكانَ خيراً له، وإن أصابتهُ ضرّاءُ صبرَ، فكانَ خيراً له»[1].

راوي الحديث:

صُهيب بن سِنان الرومي، أبو يحيى، صحابي جليل، أصله من نينوى في العراق، سباه الروم وهو غلام صغير، فنشأ بينهم، ثم اشتراه عبد الله بن جُدْعان فأعتقه.

كان ﷺ) من المستضعفين بمكة والمعذبين فيها، أسلم بعد بضعةٍ وثلاثين رجلاً، وهاجر فأدرك النبيَّ ﷺ بقُباء، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، مات ﷺ بالمدينة المنورة عام ٣٨ للهجرة، في خلافة علي ﷺ.

شرح الحديث:

الرضا بالقدر راحة للمؤمن وطمأنينة لقلبه:

يبدأ الحديث الشريف بتعجب النبي ﷺ من أمر المؤمن، وهذا التعجب ليس تعجُّباً لمجهول، وإنّما لأمر يعرفه النبي ﷺ معرفةً جيدةً، وهو تعجُّب فيه استحسان لأمر المؤمن؛ وذلك عندما يُسلِّم بقضاء الله وقدره، وينظر إلى ما أصابه من خيرٍ أو شرٍ على أنَّه أمر محتوم مقدّرٌ من رب العالمين، فيولد ذلك الرضا في قلبه، والسكينة في نفسه.

والرضا والتسليم لقدر الله كله خيرٌ للمؤمن، وكلمة (كله) الواردة في الحديث تفيد الشمول والاستقصاء؛ أي أنّ المؤمن في كل أحواله من النّعماء والضرّاء هو في خير ونعمة من الله تعالى؛ «**وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن**»؛ لأنّ الطبيعة البشرية تفرح عندما يمسها الخير، وتجزع وتهلع إذا أصابها الضُّرّ؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٢؛ والمؤمن هو المستثنى من هذا التقلب في التعامل مع القدر؛ ففي إيمانه عصمة، تجعله يتقبَّل المصيبة بالصبر،

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم٢٢٩٥.

ويتقبَّل النِّعمة بالشكر، فعلاقة الإيمان بالصبر والشكر يعبر عنها عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: «الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر»؛ ولهذا جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في أكثر من موضع في كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم: ٥.

فالإيمان يحوِّل النَّفس الإنسانية من نفسٍ ضعيفةٍ تنهار عند المصائب إلى نفس قوية ثابتة تتحمل أعظم المصائب.

■ الفهم الخاطئ للقضاء والقدر:

قد يفهم البعض موضوع القدَر فهماً خاطئاً؛ وذلك بأن يعزوا السلبيات في حياتهم إلى أنّها قضاء الله وقدره وعليهم القبول به، دون نقاش أو اعتراض، فإذا وقعوا في المعاصي فهذا بقدر الله الذي لا يستطيع أحد أن يغيره، وإذا وقع عليهم ظلم فهذا أيضاً من قدر الله تعالى، كما يبرر البعض أنّ الاحتلال هو قدر الله وعلى الناس أن يرضوا به.

والحقيقة أنّ هذا الفهم ليس من الإسلام ولا علاقة له بالفهم السليم للقدر، إذ لا يمكن عزو سلبيات الناس وفشلهم واتكالهم إلى القدر، فالله تعالى حثّ الإنسان على العمل والاجتهاد ومقاومة الظلم، وتحقيق هذه المعاني السامية في حياة الناس هو من قدر الله تعالى أيضاً، ورحم الله عمر الفاروق ﷺ عندما رجع عن أبواب بلاد الشام، عندما انتهى إلى سمعه أنّ الطاعون قد وقع في بلاد الشام، فعاتبه أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ قائلاً: أتفرّ من قدر الله؟ قال: نعم، أفرّ من قدر الله إلى قدر الله.

فإذا كان المرض قدر الله فإنَّ الصحة أيضاً قدر الله، وإذا كان تسلّط العدو على الأمة بسبب ضعفها وبُعدها عن دينها من قدر الله، فإنّ نهوض الأمة وعودتها إلى دينها وسعيها في طريق العزة والكرامة والمجد، أيضاً هو من قدر الله تعالى.

■ الشكر في السراء:

قال ﷺ: «**إن أصابته سرّاءُ شكر**»، والسرّاء هي كل ما يسر الإنسان ويُدخل البهجة إلى قلبه، والمؤمن لا تشغله الفرحة بالنعمة عن المنعم، ولا يشغله الرزق عن الرَّزاق، خلافاً لحال كثيرٍ من الناس الذين يتنعمون ويتقلبون في نِعَم الله تعالى، لكن دون أن يقوموا بواجب الشكر لِمَنْ رزقهم هذه النعم.

والمؤمن يدرك أنَّ كل نعمةٍ في هذا الوجود هي من الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل: ٥٣، وأنّها كثيرةٌ لدرجةٍ يستحيل إحصاؤها؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ النحل: ١٨، ولذلك فإنّ الواجب يحتّم عليه أن يعترف بهذا الفضل والجميل للمُنعِم سبحانه وتعالى.

والشكر هو الثناء على الله تعالى بما هو أهله اعترافاً واقراراً بفضله وكرمه، وقد يكون الشكر بالكلام؛ كقوله إذا أصابته نعمة (الحمد لله) أو (الشكر لله)، وأمثلة ذلك كثيرة؛ كقول المسلم إذا استيقظ من نومه: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، وقوله بعد تناول الطعام: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.

وقد يكون الشكر بالعمل؛ كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣؛ فشكر نعمة المال بأداء حق الله تعالى فيه من الزكاة والصدقات، وشكر نعمة الصحة بأن تُستغل هذه الأجسام في طاعة الله تعالى، وشكر نعمة العقل أن يُستعمل في التفكير لما يخدم الإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء.

فالشكر مقام عالٍ، امتدح الله به أنبياءه؛ فقال سبحانه في حق نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ الإسراء: ٣.

ومع أنّ هذا المقام في غاية الرفعة والشرف، إلا أنّ الناس يغفلون عنه؛ بسبب انشغالهم بالنعم وزخارف الحياة، فالقائمون به من الناس قلة قليلة، كما ذكر سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣.

■ شكر الإنسان لنعمة الله خير له:

في قوله ﷺ: «**فكان خيراً له**»، **بيان لفضل الشكر وأثره على المؤمن، فهو يعود على الشاكرين بالخير من وجهين:**

الأول: يؤدي إلى زيادة النعم، فإذا شكر العبد ربه أعطاه، فإذا زاد في الشكر زاده الله تعالى في العطاء؛ قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ إبراهيم: ٧.

وإذا كفر الناس نعمة الله نقصت وزالت؛ ولذلك قال سبحانه في حق أهل سبأ بعد أن كفروا نعمة الله، فسلبها الله تعالى منهم: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ سبأ: ٧١.

الثاني: حسن الجزاء في الآخرة؛ لأنّ جزاء الشاكرين إلى جنات النعيم؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٥.

■ الصبر على الضراء:

قال ﷺ: «**وإن أصابته ضراءُ صبر**»، والضرّاء تقابل السرّاء، وهي من الضُّرّ: أي الأذى الذي يقع على الإنسان، إمّا في جسده أو ماله أو غير ذلك ممّا يخصه.

والمؤمن هو الذي يتلقى ما يقع عليه من البلاء بالصبر والثبات، محتسباً أجره عند الله تبارك وتعالى، **ومما يدفع المؤمن للصبر في الضراء:**

أولاً: إدراكه أنّ الاعتراض والجزع لن يغير من قدر الله تعالى، فإذا ابتلى الله عبداً بموت ولده مثلاً، فإمّا أن يصبر ويرضى فيرضى الله عنه، وإمّا أن يجزع ويعترض ويسخط على القدر، فيسخط الله عليه، ومع ذلك لن يغير قدر الله تعالى، ولن يعود ولده للحياة.

ثانياً: إدراكه أنّ أجر الصبر عند الله عظيم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠.

■ الصبر على الضراء خير للصابرين:

في قوله ﷺ: «**فكان خيراً له**» بيان لفضل الصبر، فكما أنّ الشكر خير لصاحبه في الدنيا والآخرة، فإنّ الصبر أيضاً خير لصاحبه في الدنيا والآخرة.

- **ففي الدنيا**: ترتقي نفوس الصابرين، ويتحملون ابتلاءات الحياة بشجاعة وثبات، ولا يصيبهم ما يصيب غيرهم من الضعف والانهيار، أو ما يصيب البعض الآخر من الأمراض النفسية والعصبية التي قد تؤدي بهم إلى الانتحار في نهاية المطاف.
- **وفي الآخرة**: جزاء بلا حساب، ونعيم مقيم عند من لا يُضيع أجر مَنْ أحسن عملاً؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا، ثمّ احتسبه إلا الجنة**»[1]. والصفي هو الحبيب؛ أي إذا مات حبيبه وأعز الناس على قلبه.

■ ما يستفاد من الحديث:

١ الخير كله في التسليم لقدر الله تعالى.

٢ الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الاجتهاد والسعي لتغيير الحال إلى الأحسن.

٣ الصبر والشكر فضيلتان عظيمتان في الإسلام.

٤ الصبر والشكر نفعهما في الدنيا والآخرة.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله.

التقويم

١ أكمل قوله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن . . . . . الحديث**».

٢ أعرّف براوي الحديث.

٣ أذكر معنى الكلمات الآتية: السَّراء، الضرّاء.

٤ ما المقصود بقوله ﷺ: «**فكان خيراً له**» بعد الكلام عن الشكر على السرّاء.

٥ أشرح قوله ﷺ: «**إن أصابته ضراءُ صبر**».

٦ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) التسليم بوجود المحتل فهم خاطئ للقدر.

ب ( ) الشكر لا يكون إلا بالقول، مثل: (الحمد لله، والشكر لله).

جـ ( ) المؤمن هو الذي يحسن التعامل مع القدر.

د ( ) جزاء الصبر يكون في الآخرة دون الدنيا.

الدرس

١١

من غشنا فليس منا (حفظ وشرح)

عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ مَرّ على صُبْرةِ طعام فأدخلَ يدَه فيها، فنالتْ أصابعُه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحبَ الطعام؟» قال: أصابتْهُ السماءُ يا رسولَ الله، قال: «أفلا جعلتهُ فوقَ الطعامِ كي يَراهُ الناس؟ من غشَّ فليسَ مني»[1].

شرح الحديث:

لقد حرص الإسلام على تربية المسلم تربية صادقة واضحة وشفّافة، فالمسلم لا يقبل الخِداع والخيانة في أي أمر من أموره؛ صغيرها وجليلها، ولا يقْبلُ أن يمارِسَ التحايل في بيع أو شراء أو غيره لينال شيئاً يسيراً، أو كثيراً من هذه الدنيا الفانية.

محاربة الغِش، مسؤولية من؟:

الغشّ في اللغة: من الغشش، وهو المشرب الكدِر. **وفي الاصطلاح**: ما يخلط من الرديء بالجيد، ويفهم من هذا التعريف: الخيانة؛ وذلك بإخفاء العيب.

في الحديث الشريف دلالة واضحة على أن من أنيطت به المسؤولية عن الناس يتولى متابعة شؤونهم وما يصلح أمرهم، فهذا الرسول ﷺ يتجول بنفسه في الأسواق انطلاقاً من مسؤوليته، وحرصاً على تربية أتباعه على الأمانة، فقد وقف ﷺ عند «**صُبرة طعام**»، وهي عبارة عن كومة من الحبوب، فأدخل يده يتفحصها «**فنالت أصابعُه بللاً**» ما يعني أن البائع أظهر الحسن من الطعام وأخفى المغشوش منه، فسأل ﷺ البائع عن السبب، فردّ صاحب كومة الطعام بالقول: أصابته السماء: أي المطر، وكنّى عن المطر بالسماء؛ لأنّه نازل منها، وكأنه يريد أن يبريء نفسه، فقال ﷺ: «**أفلا جعلتَه فوق الطعام كي يراه الناس؟**»: أي أفلا أظهرت الطعام المبلل للناس كي يروه بوضوح؟ ثم قال زاجراً ومحذراً: «**مَنْ غشّ فليس مني**»، ويظهر من هذه العبارة حرص الرسول ﷺ على غرس قيمة تربوية سامية تتمثل في الثبات على نبذ الغش مطلقاً بصرف النظر عن صاحبه أو طبيعة المعاملة التي يمارسها، ولذلك جاء قوله: «**مَنْ غش**» عامّاً رغم أن السبب الذي

١ أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا»، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في المراهنة والغش في البيوع، وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

أوجب الكلام كان خاصاً، وفي ذلك تأكيد على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالغش محرم بذاته، ولفظ من غشّ يشمل المسلم وغير المسلم.

■ لماذا التحذير من الغش؟

حذر الحديث الشريف من الغش لسببين:

الأول: ديني: ففي قوله ﷺ: «**فليس مني**»، بيان أن الغش مخالف لنهج النبي ﷺ وهديهِ وطريقته، بل مخالف لرسالة الخير التي بعث بها إلى الناس، ومن غش الناس عامة والمسلمين خاصة فقد خالف سنة الرسول ﷺ في المناصحة.

أتعلم:

جاء في حديث الدرس قوله ﷺ: «**من غش فليس مني**»، وفي رواية اخرى: «**من غشنا فليس منا**»[1]، ولا تعارض بين اللفظين، فاللفظ الأول يفيد تحريم الغش مطلقاً، والثاني يفيد تحريم الغش بين المسلمين أنفسهم.

الثاني: دنيوي: ففي قوله ﷺ: «**أفلا جعلتَه فوق الطعام كي يراه الناس**»؟ تحذير من مخادعة الناس، وما يترتب على الغش من مفاسد عظيمة في المجتمع.

■ ومن المفاسد الدنيوة المترتبة على الغش:

١ **الأضرار الاجتماعية:** وأبرزها فقدان الثقة بين أبناء المجتمع، فمن أظهر للناس الخير ثم بدا لهم خلافه اختلت ثقتهم فيه، ومجتمع تضعف الثقة بين أبنائه أو تنعدم سيكون عرضة للدمار والانهيار.

٢ **المفاسد الأخلاقية:** فمن تعوَّد الغش في معاملاته يُعَوِّد نفسه على مفاسد الأخلاق؛ كالخيانة والاحتيال والخديعة، والاحتكار وغير ذلك من الأخلاق القبيحة التي نهى الإسلام عنها وحذر منها.

٣ **الأضرار الصحية**، فمن باع موادَّ غذائية، أو علاجات منتهية الصلاحية، يكون قد عرض حياة الناس للخطر المتمثل في المرض أو الموت.

---

١ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا برقم ١٤٦.

٤ **الأضرار الاقتصادية**، فمن غش الناس في البيع ضاعف منفعته المتمثلة بالربح الكثير المترتب على بيع السلعة المغشوشة بما لا تستحقه من ثمن أصلاً، مقابل الضرر الواقع على من اشتراها؛ لعدم صلاحيتها، أو ضعف انتفاعه بها؛ لرداءتها.

■ **صور الغش كثيرة، منها:**

١ **الغش في البيع والشراء**: وأمثلته كثيرة جداً؛ كإخفاء عيوب السّلع، والغش في الوزن، والمصدر والكمية والصفة المتعلقة بالبضاعة، وتاريخ الإنتاج، وغير ذلك؛ كخلط الذهب بالنحاس وبيعه على أنّه ذهب خالص، وكخلط زيت الزيتون بزيت الذّرة وبيعه بسعر زيت الزيتون.

٢ **الغش في الزواج**: كإخفاء ولي الأمر مرض ابنته عن خاطبها، وكتغيير المرأة خلقة الله لتبدو على غير حقيقتها أمام خاطبها، وإخفاء الخاطب عيوبه عن خطيبته.

٣ **الغش في النصيحة**: وذلك بعدم الإخلاص فيها؛ كأن يقصد من بذلها أغراضاً دنيويةً، أو إيذاء من تقدم إليه النصيحة، وفي ذلك تَنكُّرٌ لحق الأُخوَّة بين المؤمنين، والتي توجب على المؤمن أن يصدق في نصح أخيه.

٤ **غش الراعي لرعيته**: ويدخل في هذا المعنى مَنْ تولّى من أمر المسلمين شيئاً وهو غير مؤهّل، فهذا يؤدي إلى التفريط بمصالح الناس؛ عن معقل بن يسار المزني ﷺ أنّه قال في مرضه الذي مات فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرّم الله عليه الجنة**»[1]، فهذا الوعيد الشديد يدخل فيه كل من استرعاه الله رعيّة ولم يرعَ حقّ الله فيها، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة.

٥ **الغِش في الامتحان**: وسبب ذلك هو ضعف الوازع الديني، وضعف الإيمان، وقلة المراقبة لله تعالى أو انعدامها، فلا يجوز الغش للطلبة والطالبات.

إنّ ظاهرة الغش في مجالاتها المختلفة مدمّرة لنظام المجتمع والأمّة، وعلينا مواجهة جوانب الخلل والغش جميعها؛ وذلك ببناء منظومة أخلاقية وقيميّة مبنيّة على نهج القرآن والسنّة، لمحاربة هذه الآفة، وينبغي أن تتضافر الجهود المسؤولة جميعها لمنع انهيار الأساس الأخلاقي للمجتمع ونُظمه.

١ أخرجه مسلم: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم (٤٨٣٤).

يستفاد من الحديث:

١ حرمة الغش وما ينتج عنه .

٢ للغش صور كثيرة، فلا يقتصر الأمر على البيع والشراء .

٣ لا يبارك الله في المال الحرام .

٤ تربية المسلم على الأمانة والصدق .

التقويم

١ أكتب الحديث : «**مرّ على صُبرة . . . . . الحديث**» .

٢ أوضح ما يأتي : صُبرة طعام، الغش، أصابته السّماء، فليس مني .

٣ أبين حكم الغش في الامتحان .

٤ أعدد أربع صورٍ للغش .

٥ أعلل : اعتراض النبي ﷺ على إخفاء المبلل .

٦ أفرّق بين رواية : «**مَنْ غشّ فليس مني**»، ورواية : «**مَنْ غشّنا فليس منّا**» .

الدرس
١٢

حرمة الربا وأنواعه (١) (حفظ وشرح)

عن عبادةَ بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الذهبُ بالذهبِ مِثْلاً بمِثلٍ، والفضةُ بالفضةِ مثلاً بمثلٍ، والتمرُ بالتمرِ مثلاً بمثلٍ، والبُرُّ بالبرِّ مثلاً بمثلٍ، والملحُ بالملحِ مثلاً بمثلٍ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ مثلاً بمثلٍ، فَمَنْ زاد، أو ازداد، فقد أربى. بيعوا الذهبَ بالفضةِ كيف شئتم يداً بيد، وبيعوا البُرَّ بالتمر كيف شئتم يداً بيد، وبيعوا الشَّعير بالبُر كيف شئتم يداً بيد**»[1].

راوي الحديث:

عُبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد النقباء الأثني عشر الذين شهدوا العقبة الأولى والثانية، وبدراً، وأُحداً، وبيعة الرضوان، والمَشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. كان من سادات الصحابة ﷺ قال محمد بن كعب القُرَظي: «جمع القرآن زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار، فذكر منهم عبادة بن الصامت».

أرسله عمر ﷺ إلى حمص يعلمهم القرآن ويفقههم، فأقام بها، ثمّ خرج بعد موت معاذ إلى فلسطين، ومات فيها سنة أربع وثلاثين.

الربا وأدلة تحريمه:

الربا في اللغة: الزيادة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ فصلت: ٣٩؛ أي: زادت ونمت، ويطلق الربا على كل بيعٍ محرم بسبب الزيادة.

والربا محرم بالقرآن والسنة والإجماع:

- **أمّا القرآن** فقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ البقرة: ٢٧٥، ولا شك أنّ القران قد نهى عن كثير من المنكرات، وشدّد الوعيد في بعضها، لكنّ الكلمات التي استخدمها في تحريم الربا أشد وآكد مما استخدم في سائر المنكرات والمعاصي؛ فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ البقرة: ٢٧٩.

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البيوع، باب ما جاء أنَّ الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل . . . . . ، وقال: حديث حسن صحيح.

- **وأمّا السنّة**: فقد ورد فيها حديث ابن مسعود ﷺ قال: «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء**»[1].

وتحريم الربا مقتضى العدل؛ لأنّ التعامل به ظلم أو ذريعة إليه، والكون لا يقوم إلا بالعدل الذي أوجبه المولى -عزّ وجلّ- على نفسه، وألزم به خلقه، ومضار الربا ومفاسده لا تحصى.

- وأجمعت الأمة على أنّ الربا محرّم للنصوص الواردة في ذلك؛ فقال الماوردي: إنَّه لم يحلَّ في شريعة قط؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ النساء: ١٦١؛ يعني في الكتب السابقة.

والربا حرامٌ قليله وكثيره، ولا يلتفت إلى قول القائلين: إنّ الربا المحرّم هو الربا الفاحش؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٩؛ فالمباح كما ذكرت الآية هو رأس المال دون زيادة مهما كانت قليلة. والربا حرام مهما كانت تسميته، فسواءٌ سميناه رباً أو فائدة أو ربحاً، فكل معاملة ربوية حرام شرعاً مهما كان اسمها، فالعبرة بالمضمون لا بالاسم.

أنواع الربا:

ينقسم الربا إلى نوعين أساسيين، هما: ربا الفضل، وربا النسيئة.

وسنتحدث في هذا الدرس عن ربا الفضل، أمّا ربا النسيئة فنترك الكلام فيه للدرس القادم.

ربا الفضل:

ويسمى أيضاً ربا البيوع، وهذا النوع من الربا جاء تحريمه في السنّة النبوية الصحيحة، ولم يرد ذكره في القرآن الكريم.

ويُعرَّف ربا الفضل بأنه: تفاضلٌ يجري عند التبايع بين أصنافٍ محددة من الأموال، تسمى الأموال الربوية، وهي الأصناف الواردة في حديث الدرس (الذهب والفضة والتمر والبُرّ والملح والشعير)، وسمّيت بالربوية ليس بمعنى أنّها أموال ربا يحرم التعامل بها، ولكن بمعنى أنّ البيع إذا تم فيها بطريقةٍ غير شرعية تحوّل إلى ربا.

صورته:

أن يبيع شخصٌ صنفاً ربوياً بصنفٍ من جنسه بمقدار مختلف؛ كأن يبيع صاعاً من القمح بصاعين من القمح من نوع آخر، أو صاعاً من التمر الجيد بصاعين من التمر الرديء.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، ح رقم ١٠٦

■ قوله ﷺ: «**الذهب بالذهب مِثلاً بِمثل، والفضة بالفضة مثلاً بمثل . . . .**»:

ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث ستة أصناف من المبيعات هي: (الذهب والفضة والبرُّ (القمح) والتمر والملح والشعير)، وإذا دققنا النظر فيها نجد أنّها على نوعين:

- الذهب والفضة، وهي أثمان.
- التمر والشعير والقمح والملح، وهي سلع (مطعومات موزونة ومكيلة).

فإذا أراد شخص أن يبيع أحد هذه الأصناف بشيء من جنسه؛ كأن يبيع الذهب بالذهب، أو التمر بالتمر فلا بدّ من توافر شرطين:

١ **التساوي في المقدار (كيلاً أو وزناً)**: وهذا ما جاء في الحديث بعد كل صنف (مثلاً بمثل)؛ أي كيلوغرام من التمر بكيلو غرام من التمر.

٢ **التقابض في مجلس العقد قبل التفرق**: بمعنى أن يشتري مئة غرام من الذهب من نوع معين بمئة غرام من نوع آخر، ويتم التسليم والاستلام في المجلس نفسه.

فإذا حدث إخلال بأحد هذين الشرطين؛ كأن يبيع ثلاثة كيلوغرامات من التمر الجيد بأربعة كيلوغرامات من النوع الرديء، أو أن يشتري شخص ذهباً من محل تجاري ولا يدفع الثمن مباشرة، أو يشتري الذهب ديناً أو بالتقسيط، فهذا كله يسمى ربا الفضل.

ومعنى الحديث بإيجاز هو تحريم بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والتمر بالتمر، والبُرّ بالبُرّ، والملح بالملح، والشعير بالشعير، إلا إذا كانا متساويين في المقدار (كيلاً أو وزناً)، وأن يتم التقابض في مجلس العقد قبل التفرق.

■ قوله ﷺ: «**فمَنْ زاد أو ازداد فقد أربى**»:

- **فمن زاد**: أي أعطى الزيادة، وازداد: أي طلب الزيادة.
- **فقد أربى**: أي أوقع نفسه في الربا.

وهذا فيه إشارة إلى الشرط الأول وهو التساوي في المقدار، فلا يقبل أن يعطي زيادة، أو يطلب زيادة.

وإذا قال قائل: هل من المعقول أن تجد تاجراً يبيع ذهباً من عيار ثقيل بذهب من عيارٍ أقل بالمقدار نفسه؟ أو أن تجد تاجراً يبيع تمراً من النوع الجيد بالمقدار نفسه من تمرٍ رديء؟

والجواب على ذلك أنّه لا داعي للمبادلة بهذه الطريقة، فيمكن للإنسان أن يبيع الذهب الذي معه ويقبض ثمنه، ثم يشتري ما يشاء من ذهب بالثمن والكيفية التي يشاؤها، وهكذا بالنسبة للتمر والملح . . . إلخ.

■ قوله ﷺ: «**بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم، يداً بيد**»:

هذا النص يوضح طريقة البيع الصحيح بين هذه الأنواع الستة التي يجري فيها الربا، فإذا اختلف النوع؛ كبيع الذهب بالفضة أو العكس فيجوز التفاضل فيها، وهذا ما عبّر عنه قوله ﷺ: «كيف شئتم»؛ أي بالمقدار الذي تريدونه، لكن دون التخلي عن الشرط الثاني وهو «**يداً بيد**»؛ أي في المجلس نفسه، فلا يجوز تأخير القبض.

■ قوله ﷺ: «**وبيعوا البُرّ بالتمر كيف شئتم، يداً بيد**...»:

وهنا يبين النبي ﷺ أيضاً جواز التفاضل (عدم التساوي) بين الأصناف الأربعة الأخرى (التمر والملح والشعير والبُرّ) إذا اختلفت الأنواع؛ كبيع التمر بالملح، أو الشعير بالتمر، فيجوز اختلاف المقدار؛ كبيع كيلوغرام من التمر بثلاثة كيلوغرامات من الملح، لكن بشرط أن يتم التقابض في المجلس نفسه.

هل يلحق بهذه الأجناس الستة غيرها من الأصناف؟

لم يتفق العلماء في هذه المسألة، فرأى الظاهرية أنّ هذه الأصناف الستة فقط هي الأموال التي يجري فيها الربا، ولا يلحق بها أي نوع آخر.

بينما رأى جمهور العلماء أنّ هذه الأصناف يُلحق بها شبيهاتها، فمَنْ رأى أنّ العلة (السبب) في كونها ربوية هو الوزن، ألحق بها ما يشبهها من الموزونات، ومَنْ رأى أنّها مكيلات ألحق بها ما يشبهها من المكيلات، وهكذا.

ما يستفاد من الحديث:

١ حرمة الربا في الإسلام بكل أشكاله؛ كثيراً كان أم قليلاً.

٢ التماثل والتقابض في مجلس العقد مشروط في جميع الأموال الربوية (الستة)، وما يلحق بها.

٣ جواز بيع الأجناس المختلفة بمقادير مختلفة إذا اتحد المجلس.

التقويم

١ أكمل الحديث النبوي الشريف: «**الذهب بالذهب** . . . . . **الحديث**» .

٢ أعرّف المصطلحات الآتية: الربا، ربا الفضل، مِثْلاً بِمِثل، يداً بيد .

٣ أذكر الأصناف التي يجري فيها الربا .

٤ لماذا سميت الأصناف الستة بالأموال الربوية؟ .

٥ أبين الحكم الشرعي، مع التعليل:

أ باع رجل صاعاً من بُر بصاعين من الشعير، وتقابضا في المجلس .

ب باع رجل سيارة بألف دينار، ولم يتم التقابض في المجلس نفسه .

جـ باع رجل مئة غرام من الذهب بمئة غرام من الذهب من نوع آخر، وتم تأجيل موعد التسليم إلى يومين .

د اشترى رجل ذهباً بقيمة خمسة آلاف دينار، فدفع منها ألفي دينار، وأجّل دفع الباقي إلى اليوم التالي .

الدرس
١٣

حرمة الربا وأنواعه (٢)

«ربا النسيئة»

نتكلم في هذا الدرس عن النوع الثاني من الربا، وهو ما يُعرف بربا النسيئة.

أتذكر:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الذهبُ بالذهبِ مِثْلاً بِمِثل، والفضةُ بالفضةِ مثلاً بمثل، والتمرُ بالتمرِ مثلاً بمثل، والبُرُّ بالبرِّ مثلاً بمثل، والملحُ بالملح مثلاً بمثل، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ مثلاً بمثل، فَمَنْ زاد، أو ازداد، فقد أربى. بيعوا الذهبَ بالفضةِ كيف شئتم يداً بيد، وبيعوا البُرَّ بالتمر كيف شئتم يداً بيد، وبيعوا الشَّعير بالبُر كيف شئتم يداً بيد**»[1].

والنسيئة لغةً: التأجيل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ التوبة: ٣٧؛ أي التلاعب في الشهور العربية ومحاولة تأجيلها وتبديل مواقعها. **واصطلاحاً**: هو كل زيادةٍ مشروطةٍ مقدماً على رأس المال مقابل الأجل وحده.

صورته:

أن يقترض شخصٌ مبلغاً من المال (مئة دينار مثلاً)، فيشترط عليه المُقرِض أن يُعيده مع زيادة (مئة وعشرة دنانير مثلاً).

وتطبيق هذه الصورة على التعريف السابق، أنّ الدنانير العشرة هي زيادة اشترطها المُقْرِض مقدماً قبل أن يدفع المال، وهذه الزيادة تكون على رأس المال، وهي مقابل المدة التي سينتظرها المُقرِض قبل أن يسترد ماله؛ أي أنّ المَدين سيدفع هذه الزيادة مقابل الوقت.

وهذا النوع من الربا هو الذي ورد في القرآن الكريم، وإذا أُطلق لفظ الربا في القرآن أو السنّة، فلا يُفهم منه إلا ربا النسيئة، أو كما يسميه البعض بـ(ربا الديون)؛ لأنّه متعلق بالديون والقروض، ويسمى أيضاً (ربا الجاهلية)؛ لأنَّ هذا النوع هو الربا الذي كانت تعرفه الجاهلية وتتعامل به.

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البيوع، باب ما جاء أنَّ الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل . . . . . ، وقال: حديث حسن صحيح.

■ صور من ربا النسيئة:

مع تطور الحياة وتطور أشكال المعاملات المالية، ظهرت صور جديدة للربا، لكنّها تدور حول الفكرة الأساسية، وهي زيادة على رأس المال مقابل الوقت، **ومنها**:

١ كل أشكال الإقراض والاقتراض التي تدور بين الأشخاص، أو بين الأشخاص والبنوك، والتي يتم فيها السداد بعد مدة من الزمن مع زيادة على رأس المال.

٢ كل أشكال الإيداعات والحسابات التي يفتحها الأفراد أو المؤسسات في البنوك مقابل فائدة يدفعها البنك لهم.

٣ بطاقات (الفيزا) بشرط أن يقوم المشترك بالسحب أو الشراء من خلال هذه البطاقة بمبالغ أكثر ممّا هو موجود في رصيده، حيث يقوم البنك باسترداد أمواله من هذا الشخص مع زيادة.

٤ الغرامات التي تفرضها بعض المؤسسات على مَنْ تأخّر في سداد ديونه؛ كالغرامات على فواتير الماء أو الكهرباء أو غيرها.

■ حكم الزيادة (الفوائد الربوية):

١ كل مالٍ جاء عن طريق الفوائد الربوية هو مالٌ حرام شرعاً، لا يجوز أن ينتفع به المسلم (مودع المال) لنفسه أو لأحدٍ ممّن يعول في أي شأنٍ من شؤونه.

٢ يجب التخلص من هذا المال بإنفاقه في المصالح العامة للمسلمين؛ من مدارس ومستشفيات وغيرها. وليس هذا من باب الصدقة وإنّما من باب التطهُّر من الحرام.

٣ لا يجوز أن تترك هذه الفوائد للبنوك الربوية؛ لأنّ في ذلك تقويةً لها، وعوناً لها على الحرام؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ المائدة: ٢.

■ البنوك الربوية والبدائل الشرعية:

كان الربا يمارس قديماً بين أفرادٍ أغنياء وآخرين فقراء، حيث يستدين الفقير مبلغاً من المال لسداد احتياجاته، ثم يقوم بسداد هذا الدّين أضعافاً كثيرة، ومع تطور الحياة، وتطور الاقتصاد والمعاملات المالية، ظهرت مؤسسات ربوية، احتضنت هذه المعاملة المالية المحرمة، وقامت بتطويرها وإيجاد أشكال أخرى لها؛ كالحسابات والودائع والقروض والسندات . . . إلخ، وسمّيت هذه المؤسسات بالبنوك (المصارف)، وقد انتشرت انتشاراً هائلاً في كافة بلدان العالم، وأصبح النظام الربوي ممثَّلاً بالبنوك مظهراً من مظاهر النظام الرأسمالي.

وكانت المشكلة كبيرة بالنسبة للمسلم الملتزم بتعاليم دينه، فإذا امتلك أموالاً يريد الحفاظ عليها من السرقة، أو لديه أموالٌ كثيرة يريد استثمارها، فليس أمامه إلا هذه البنوك الربوية، فهو بين خيارين: إمّا أن يضعها في هذه البنوك، وإمّا أن يعطلها ويجمدها وربما يعرضها للسرقة، وكلاهما خيار صعب.

وبقي هذا الوضع إلى أن منَّ الله تعالى على المسلمين بأن جعل لهم مخرجاً من هذا الحرج، وظهرت البدائل الشرعية ممثلةً بشركات توظيف الأموال أو البنوك الإسلامية، التي وفرت بدائل حقيقية صالحة للاستثمار وبعيدة كل البعد عن الحرام.

■ **خطر الربا:**

لقد أثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أنَّ الربا خطرٌ على اقتصاد العالم وسياسته، وأخلاقياته وسلامته، وأنَّه وراء كثيرٍ من الأزمات التي يعانيها العالم، وأن لا نجاة من ذلك إلا باستئصال هذا الداء الخبيث من جسم العالم، وهو ما سبق به الإسلام منذ خمسة عشر قرناً. والربا هو المحرك الرئيس للتضخم (ارتفاع الأسعار)؛ لأنّ الشخص عندما يأخذ قرضاً ربوياً فإنَّ ذلك سيؤدي إلى زيادة تكاليف الإنتاج، وهو سيؤدي تلقائياً إلى ارتفاع الأسعار.

وما الأزمة المالية والانهيار في كثيرٍ من الأسواق العالمية الأخيرة التي بدأت عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، إلا خير شاهد على هذا الأمر، فالنظام العالمي الذي يقوم على الربا بدأ بالتراجع، وبدأت الدعوات تعلو لخفض نسبة الفائدة لتصل إلى الصفر، وهذا يعني إلغاء الفائدة الربوية، بل قد سمعنا من بعض مراكز الدراسات في العالم الغربي ومن الخبراء الاقتصاديين من يشير إلى أنَّ الحل هو فقط في النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يتبنى الذهب كعملة رئيسة للتداول، ويخلو من الربا القاتل. والربا سبب لما تعانيه بعض الدول في الوقت الحالي من عجز نتيجة عدم قدرتها على سداد الديون وما يترتب عليها من فوائد هائلة؛ ما يؤدي إلى تعطيل عجلة الإنتاج وتأخُّر هذه الدول عن مواكبة التطور، وإثقال كاهلها الاقتصادي؛ ما يعني عيشها في شظفٍ وسوء حال. كذلك فإنَّ هناك مخاطر يشكلها الربا على المستوى الفردي؛ كتربية الأحقاد والضغائن بين الفقراء والأغنياء، وتكريس الثروة في يد فئة قليلة من المجتمع.

ما يستفاد من الحديث:

١ كل زيادة مشروطة على رأس المال مقابل الوقت تعتبر ربا .

٢ لا يجوز بأي شكل من الأشكال التعاطي مع البنوك الربوية إقراضاً واقتراضاً .

٣ المال الناتج عن الربا (الفوائد البنكية) هو مال حرام لا يجوز للمسلم أن ينتفع بها لنفسه .

٤ البنوك الإسلامية هي بدائل شرعية تغني عن البنوك الربوية .

التقويم

١ أعرِّف ربا النسيئة اصطلاحاً .

٢ أذكر ثلاثاً من صور ربا النسيئة .

٣ أوضح الحكم الشرعي في الفوائد البنكية .

٤ أبين خطر الربا على الأفراد والمجتمعات .

٥ أعلل ما يأتي :

أ يُسَمَّى ربا النسيئة بربا الجاهلية .

ب التعامل ببطاقة (الفيزا) حرامٌ في حالات معينة .

جـ الربا يورث الضغائن والأحقاد بين الناس .

الدرس

١٤

عِظَم ذنب الشرك (حفظ وشرح)

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لإهونِ أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهونَ من هذا، وأنت في صُلْبِ آدمَ أن لا تشرَك (أحسبه قال: ولا أدخلك النار)، فأَبيتَ إلا الشرك»[١].

راوي الحديث:

أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة المدني، صاحب رسول الله ﷺ، وخادمه عشر سنين، قال: جاءت بي أُمُّ سليم إلى النبي ﷺ، وأنا غلام، فقالت: يا رسول الله، أُنيس، ادعُ له، فقال النبي ﷺ: «**اللهم أكثرْ ماله وولده، وأدخله الجنة**»[٢] قال: فقد رأيت اثنتين، وأنا أرجو الثالثة. وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ من عباد الله مَنْ لو أقسم على الله لأبَرَّه**»[٣].

شهد مع رسول الله ﷺ بدراً، والحديبية، وعمرته، والحج والفتح، وحُنيناً، والطائف، وخيبر.

لـمّا مات أنس بن مالك، قال مورِّق: ذهب اليوم نصف العلم، ومات أنس سنة اثنتين -أو ثلاث- وتسعين، وقد جاوز المائة، وروى له الجماعة.

شرح الحديث:

هذا حديث قدسي أخبر به رسول الله ﷺ بأمر غيبي لا يصدر إلا عن نبيٍّ مؤيدٍ بالوحي، وسيقع هذا يوم القيامة، كما أخبر ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣ - ٤.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، ح رقم ٥١/ (٢٨٠٥).

٢ أخرجه ابن عساكر، والبخاري نحوه في الأدب المفرد باب رقم ٦٥٣، وابن سعد في طبقاته ٧/ ٢/ ١٢٠.

٣ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب الصلح في الدية، ح رقم (٢٧٠٣) ومسلم في صحيحه: كتاب القسامة والمحاربين، باب إثبات القصاص في الأسنان، وما في معناها، ح رقم (١٦٧٧) باختلاف يسير.

أتذكر:

الحديث القدُسي: هو الذي يرويه النبي ﷺ على أنه من كلام الله تعالى، بلفظ من عنده بإحدى الصيغتين الآتيتين:

- **الأولى: أن يقول الراوي**: قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربّه.
- **الثانية: أن يقول الراوي**: قال رسول الله ﷺ، يقول الله تعالى، أو قال الله تعالى.

■ قوله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: لأهونِ أهل النار عذاباً**»:

أي: لأيسرِ أهلها من حيث العذاب؛ قال ابن التين: يحتمل أن يُراد به أبو طالب. وقد وقع في حديث ابن عباس عِنْدَ مسلم، التصريح بذلك، ولفظه: «أهونُ أهل النار عذاباً أبو طالب»[1].

■ قوله ﷺ: «**لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، زاد مسلم في رواية، فيقال له: كذبت، قد سُئلت ما هو أيسر من ذلك**»[2].

قال عياض: «يشير بذلك الى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف: ١٧٢، فهذا الميثاق الذي أُخذ عليهم في صُلبِ آدم، فمَنْ وفَّى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوفَّ به فهو كافر.

■ **والمقصود** بقوله ﷺ: «**قد أردت منك**»: أردت منك حين أخذت الميثاق، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك، ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب، والمعنى: أمرتك فلم تفعل؛ لأنّه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد ولا بدَّ من تأويل أردتَ على ذلك جمعاً بين الروايات؛ لأنّه يستحيل عند أهل الحق (أهل السنّة) أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع.

■ قوله: «**كذبت**»: يعني لو رددناك إلى الدنيا لما افتديت؛ لأنّك سُئلت أيسر من ذلك فأبيت، وهو مستفادٌ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٨، وبهذا يجتمع معنى هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الزمر: ٤٧؛ أي: لو كان لهم يوم القيامة ما في الأرض جميعاً ومثله معه، وأمكنهم الافتداء لافتدوا.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ح رقم ٣٦٢-٢١٢

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

ما يستفاد من الحديث:

١ أنّ الله أخذ العهد على الناس وهم في صلب آدم عليه السلام ألا يشركوا به شيئاً .

٢ ضعف الإنسان قد يقوده إلى التنكر للعهد الذي قطعه على نفسه .

٣ الله يحب لعباده دخول الجنة والنجاة من النار .

٤ أبو طالب أيسر الناس عذاباً يوم القيامة .

التقويم

١ أكمل ما يأتي : يقول الله تبارك وتعالى : لأهونِ أهل النار . . . . . الحديث .

٢ مَنْ هو أهون أهل النار عذاباً؟

٣ أبين المراد من قوله : «**أردت منك أهون من هذا** . . . . . » .

٤ أوضح معنى قوله : «وأنت في صلب آدم» .

٥ أستنبط ثلاث فوائد من الحديث الشريف .

الدرس
١٥

عدل الله تبارك وتعالى (حفظ وشرح)

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَظلمُ مُؤمناً حسنةً؛ يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرةِ، وأمّا الكافرُ فيُطعَمُ بحسناتِ ما عملَ بها للهِ في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرةِ لم يكنْ لهُ حسنةٌ يجزى بها»[1].

شرح الحديث:

العدل هو الأساس الذي يقوم عليه الوجود، والله تعالى هو العدل، وكل عدلٍ عند غيره إنّما هو مستمدٌ من عدله سبحانه وتعالى، فعدالة الله تعالى مطلقة، لا تشوبها شائبة ظلم أو جَوْر، فهو الذي حرّم الظلم على نفسه، كما ورد في الحديث القُدُسي: «**يا عبادي، إنّي حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**»[2]، والظلم هو وضع الشيء في غير مكانه، وهو منقصةٌ في حق فاعله، ولذلك فإن الله تعالى تنزَّه عنه، وأراد لعباده البعد عنه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٩، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦.

وفي تأكيد الله تعالى على العدل معنيان:

الأول: تنزيه الله تعالى عما لا يَليق به سبحانه.

الثاني: طمأنينةٌ لقلوب العباد؛ فالرب الذي يعبدونه عدل مطلق العدالة، ولا يظلم شيئاً وإن كان مثقال حبة، وهذا يعني أنَّ عبادتهم وجهودهم لن تضيع سُدىً، فهو الذي يجازيهم عليها، ويثيبهم في الدنيا والآخرة.

ومن كمال عدله سبحانه وتعالى أنّه يجازي العصاة على قدر معصيتهم، وليس على قدر عظمته وقوته وجبروته، فهو قادرٌ على أن يوقع على مَنْ عصاه ألواناً شتى من العذاب لا يقوى عليها مخلوق، ولكنّه سبحانه يجازي على قدر المعصية، ويعفو عن كثير، ولا يُضاعِف سيئات العصاة كما يفعل مع الطائعين، وهذا من فضله وكرمه سبحانه.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين، باب جزاء المؤمن بحسناته، حديث رقم ٧٠٢٠.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٧٧.

■ هل يُعامِلُ اللهُ تعالى الخلق بعدله أم بفضله؟

العدل من أجمل الكلمات وقعاً على الإنسان، فهي تبعث الطمأنينة في قلب السامع، فغاية الإنسان في حياته أن يُعامَل بالعدل من ولاة أمره ومَنْ يتولى شؤونه، لكن لو طبقنا هذا الأمر في علاقة الإنسان مع ربه، لكان في ذلك هلاكه وتعاسته في الدنيا والآخرة؛ وذلك لضعف الإنسان وكثرة أخطائه، فما أن ينتهي من معصية حتى يقع في أخرى، والعدل هنا يقتضي أن يُثاب المحسن على إحسانه، وأن يعاقب المسيء على إساءته، ولكثرة معاصي الناس؛ فالعدل يقضي بأن يعاقبوا عليها، ولو حدث ذلك لهلكوا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ . . .﴾ فاطر: ٤٥، فالله تعالى برحمته جعل لهم مخرجاً من ذلك، ومنَّ عليهم بفضله، وفتح لهم أبواب توبته، فمَنْ وقع في معصيةٍ ثم شعر بخطئه فتاب إلى ربه وندم على ما فعل، فإنَّ الله يتوب عليه ويعفو عن خطئه.

ومن رحمته سبحانه أيضاً أنّه يعطي الإنسان فرصة طويلة للتوبة، فالتوبة مقبولة من الإنسان طالما هو على قيد الحياة ما لم يصل إلى مرحلة النزاع؛ قال ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر**»[1]؛ أي: أنَّ الكافر أو العاصي لا يُعاقبُ على الذنب مباشرة، بل يترك له المجال لعله يعود إلى الله ويتوب إليه؛ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ الكهف: ٥٨، فالمجال مفتوح لِمَنْ أراد أن يتوب، ويغيِّر من سلوكه في الحياة، وهذا من رحمة الله تعالى وفضله.

■ جزاء المؤمن عطاءٌ في الدنيا ونعيمٌ في الآخرة:

في قوله ﷺ: «**إنَّ الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة**» يبين أنَّ الله تعالى لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً، فهو يجازي المؤمن على حسناته، ولا يظلمه قيد أنملة؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة: ٧، ومن رحمة الله وفضله أنّه يجازيه على عمله مرتين: مرة في الدنيا ومرة في الآخرة.

ففي الدنيا يبارك الله تعالى له في عمره، ويبارك له في رزقه، ويورثه السعادة والهناء؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧.

وقد ورد في أحاديث المصطفى ﷺ بعض الأعمال التي يثاب المسلم عليها في الدنيا؛ كقوله ﷺ: «مَنْ

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وقال: حسن صحيح.

أحبَّ أن يُبسطَ له في رزقه، ويُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه»[1]، فالحديث يبين أنّ صلة الرحم تزيد وتبارك في الرزق، وتطيل العمر وتباركه.

أمّا في الآخرة فكل الخير والنعيم مدَّخر للمؤمن الذي عمل الصالحات، حيث يثاب على عمله أضعافاً كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١.

■ جزاء الكافر عطاءٌ في الدنيا:

في قوله ﷺ: «**وأمّا الكافر فيُطعَم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له حسنة يجزى بها**». يبين كمال عدل الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ الكهف: ٤٩، وكلمة «أحداً» تفيد العموم، فهي تشمل المسلم والكافر، ولذلك يجازي الله الكافر إذا صدر منه عمل صالح، كما يفعل بعضهم بالتبرع للفقراء، أو المدارس، أو المستشفيات، بأن يعطيهم ثمرة هذا العمل في الدنيا، ولذلك جاء في حديث الباب: «**وأما الكافر فيطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا**»، فالله يرزقهم ويطعمهم بثمرة عملهم الجيد في هذه الحياة.

وإذا دققنا النظر في الحديث نجد فيه قيداً، وهو أن يكون عمل الكافر لله؛ «**فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا**»، فهل يعمل الكفار شيئاً لله؟ وفي سبيله؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بد من التوضيح أنَّ الكفر نوعان:

الأول: كفر إلحاد: أي: أنَّ الكافر يُنكر وجود ربه ولا يؤمن به؛ كقول بعضهم: لا إله والحياة مادة، أو أنَّ الطبيعة خلقت نفسها بنفسها، وهذا النوع هو الذي لا يعمل لله.

الثاني: كفر ليس فيه إلحاد: أي: أنَّ الكافر لا يُنكر وجود الله، لكنّه يحمل صورة خاطئة عن الخالق سبحانه، أو يؤمن به ولا يؤمن ببعض أنبيائه، كما هو الحال عند أتباع بعض الأديان، أو أن ينكر بعض المسلَّمات في الدين؛ كأن يُنكر القضاء والقدَر أو البعث أو يُنكر الصلاة والصيام... إلخ، فهؤلاء قد يصدر منهم عملٌ صالح يقصدون به وجه الله تعالى؛ كالصدقة أو حسن الخُلُق... إلخ، وهؤلاء هم المعنيون في الحديث الذين يُعطَوْنَ نتيجة أعمالهم في الدنيا.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب مَنْ بسط له في الرزق بصلة الرحم.

■ **هل يثاب الكافر على عمله يوم القيامة؟**

أجمع العلماء على أنَّ الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يُجازى على عمله الصالح يوم القيامة، وهذا ما صرح به حديث الدرس: «**حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها**»، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان: ٢٣.

وإذا سأل سائل: أليس في هذا ظلمٌ؟ لماذا لا يجازى الكافر على عمله الصالح طالما أنَّ فيه نفعاً للناس؟

■ **وجواب ذلك على شقين:**

١ **إنْ كان الكافر ممَّن يُنكر وجود الله ولا يؤمن به**، فليس له جزاء حسن عند الله؛ فمن المقبول عقلاً أنّ من يعمل لغاية معينة يتحقق تمام مقصده بتحقيق تلك الغاية، وأنّ العامل يطلب أجره ممَّن عمل عنده، والكافر إنما يعمل للدنيا فكيف يطلب أجره من الله تعالى؟

٢ **إنْ كان الكافر ممّن يؤمن بالله لكن مصطلح الكفر أُطلق عليه لسبب آخر؛ كإنكاره أحد أركان الإيمان؛ أو أُطلق عليه الكفر بسبب تصورٍ خاطئ عن الله؛ كتشبيهه ببعض خلقه، أو بسبب إنكاره لمعلوم من الدين بالضرورة**: فكل هؤلاء لا يثابون على عملهم الصالح في الآخرة؛ لأنّ الإيمان معتقد يُبنى على تصور متكامل، فلا يُقبلُ أن يُجزّأ؛ قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ . . . ﴾ البقرة: ٢٨٥، فلا تفريق بين رسولٍ ورسول، ولا بين ركنٍ وركن، **أضف إلى ذلك أنّ العمل حتى يكون مقبولاً عند الله، لا بد من توافر شرطين فيه:**

- أن يكون العمل خالصاً لله تعالى.
- أن يكون موافقاً لما شرع الله من كتاب وسنّة.

والنقص يدخل على عمل الكافر من أحد هذين الفرعين أو من كليهما؛ فعمل الكافر فيه خلل من جهة التوحيد والإخلاص، وفيه خلل من جهة موافقته للشرع، ولذلك لا يقبل الله تعالى هذا العمل في الآخرة.

يستفاد من الحديث:

١ الله تعالى عدلٌ، ولا يظلم أحداً من خلقه؛ لا مؤمناً ولا كافراً.

٢ المسلم مأجور على عمله في الدنيا والآخرة.

٣ الكافر يجازى على أعماله الحسنة في الدنيا.

٤ ثقة المسلم بعدل الله ورحمته تدفعه للعمل والاجتهاد.

التقويم

١ أكمل قوله ﷺ: «**إنَّ الله لا يظلم مؤمناً** . . . . . **الحديث**».

٢ حرَّم الله تعالى الظلم على نفسه، أوضح ذلك.

٣ أبين أيُّهما أفضل للإنسان أن يعامله الله تعالى بالعدل أم بالفضل.

٤ أشرح قولَه ﷺ: «**وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عملَ بها لله في الدنيا**».

٥ أذكر نوعَي الكفر الواردين في الدرس.

٦ أعلل ما يأتي:

أ الكافر لا يثاب على عمله يوم القيامة.

ب ثقة المسلم بعدل الله تدفعه إلى العمل.

الدرس

١٦

مشاركة النساء في الجهاد (حفظ وشرح)

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لمّا كانَ يومُ أُحدٍ انهزمَ الناس عن النبيِّ ﷺ قال: ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وأمَّ سُليم، وإنّهما لمُشمّرتانِ أرى خَدَمَ سُوقِهنَّ، تنقُزانِ القِرَبَ، -وقال غيره- تنقُلانِ القِرَبَ على مُتُونِهما، ثم تُفرغانِهِ في أفواهِ القوم، ثمَّ ترجِعانِ فتملآنِها ثمَّ تجيئانِ فتُفرغانِه في أفواهِ القوم»[1].

شرح الحديث:

يبيِّن الصحابيّ الجليل أنس بن مالك ﷺ في هذا الحديث الشريف جزءاً من مشهد هزيمة المسلمين في أُحد، بعد مباغتة جيش المشركين لهم، وذلك أثناء انشغالهم بجمع الغنائم، وصوّر كيف تفرّق معظم الصحابة عن رسول الله ﷺ نتيجة ذلك، فلم يتبقَّ من الرجال والنساء سوى قلة معدودة، حيث أظهروا من البطولات والصبر والتحمل والمساعدة والمساندة صوراً مشرّفة.

لقد كانت نساء المسلمين تحرص على مشاركة الرسول ﷺ في الجهاد، ولم تكن نساؤه ﷺ أقل حرصاً على الجهاد من باقي النساء، لدرجة أنّه كان يضرب بينهنّ بالقرعة للخروج معه.

وهنا يصف أنس ﷺ مشهد أمّه (أمّ سُليم)، وعائشة ﷺ وهما تسارعان لنقل الماء للجرحى والعطشى من الصحابة، متحملاتٍ في ذلك مشقة عظيمة في سبيل الحصول على رضا الله ورسوله.

قوله: «وإنّهما لمشمّرتان، أرى خَدَمَ سوقهنّ»:

مشمّرتان: ترفعان طرَف ثوبهما؛ لتتمكنا من الجري.

الخَدَم: الخلاخيل، وهو ما تلبسه المرأة في ساقها من سلسلة أو حلقة تتزين بها، ويظهر الحديث أنّ هذا الانكشاف والتشمير كان قبل الحجاب، وقد يحصل هذا الأمر أحياناً من المرأة إذا دعت الضرورة لذلك، أو بغير قصد أثناء المعركة، أو الفزع الشديد، وإلا فإنه لا يجوز أن تكشف المرأة ساقها ليُرى موضع الخلخال.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهنّ مع الرجال.

■ **قوله: «تنقُزان القِرَب على متونهما»:**

تنقزان بضم القاف: معناها تحملان، وقيل: تنقزان: تَثِبان، والنَّقز: الوثب والقَفز، كنايةً عن سرعة السير، **والقِرَب**: جمع قِربة، والمقصود: تنقلان القِرب، حيث تتحرك هذه القِرَب من سرعة وثبهنَّ.

على متونهما؛ أي على ظهورهما، حيث يذهبن لتعبئة القِرب، ثمّ يحملن هذه القِرَب على الظهور مسرعاتٍ لسقي المجاهدين والجرحى، ثمّ تعودان مرةً أخرى لفعل ذلك، وهكذا.

■ **خروج النساء للحرب:**

يتبيَّن من هذا الحديث أَنّ خروج النساء كان لعلاج الجرحى وسقايتهم، وقد ورد في روايةٍ أنَّ النبي ﷺ سألهنَّ عن سبب خروجهنّ في حُنين فأجبن بالقول: خرجنا نغزل الشَّعَر، ونعينُ في سبيل الله، ونداوي الجرحى، ونناول السهام ونسقي السويق؛ أي نحضّر الطعام، والسويق: طعامٌ على شكل سائل. ولم يرد التصريح بأنهنّ قاتلن.

■ **مباشرة النساء للقتال:**

إذا كان خروج النساء للحرب لتقديم بعض الخدمات للمجاهدين، فهل يصح للمرأة أن تباشر القتال بنفسها؟

■ **يجاب على ذلك من وجهين:**

الأول: إنَّ إعانة المرأة للمجاهدين في القتال لا يقل عن مباشرة القتال شأناً، ففي الإعانة على الغزو غزو، والعون على الشيء ضَربٌ منه.

الثاني: لم يوجب الإسلام الجهاد على المرأة وجعل غزوهنّ تطوُّعاً وفضيلةً؛ لما يتطلبه الجهاد من الكرّ والفرّ والقوة والجَلَد، ولما يترتب على ذلك من الأَسر والسّبي ونحوه، ممّا تعجز عن تحمّله النساء الضعيفات، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله، هل على النساء جهاد؟ فقال: جهادٌ لا قتالَ فيه؛ الحج والعمرة»[1].

وفي المذاهب الأربعة: لا جهاد على المرأة والصبي؛ لأنّ بنيتهما لا تحتمل ذلك عادة، واستدل مَنْ قال بعدم وجوب الجهاد على المرأة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ الأنفال: ٦٥، فدلّ أنّه أراد بذلك الذكور دون الإناث.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّير - باب غزو النساء.

وللمرأة أن تقاتل عند الضرورة، فتدافع عن نفسها، أو دارها أو وطنها، وقد وقع عند مسلم أنّ «**أمَّ سُلَيم اتخذت خِنْجَراً يوم حُنين فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خِنجَر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ فقالت: اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه**».[1]

وقد قاتل نساءٌ من قريش يوم اليرموك حتى دهمتهنّ جموع الروم، فضربت النّساء يومئذٍ بالسيوف؛ وذلك في خلافة عمر، وهذا يدل على جواز أن يقاتلنَ في حال الضرورة.

يستفاد من الحديث:

١ مشاركة النساء في الجهاد تكون لمساعدة الجند ومداواة الجرحى.

٢ القتال ليس مفروضاً على النساء.

٣ يجوز للمرأة القتال والدفاع عن النفس.

التقويم

١ أكتب حديث أنس رضي الله عنه: «**لَمّا كان يوم أحد. . . . . الحديث**».

٢ أبين معاني المفردات الآتية: انهزم، خدم، سوقهنَّ، تنقُزان

٣ أبين من خلال دراستي للحديث الشريف حُكْمَ مباشرة المرأة للقتال.

٤ أشرح قوله: «**وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهنّ تنقزان القرب على متونهما**».

٥ أعلل ما يأتي:

أ قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ الأنفال: ٦٥.

ب حَمْل أمّ سليم خنجراً في غزوة حنين.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّير - باب غزو النساء برقم (٣٣٣٤).

الدرس

١٧

مثل المؤمن ومثل الكافر (حفظ وشرح)

عن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ المؤمنِ كمثلِ الخامَةِ منَ الزرعِ، تُفيئُها الريحُ، تَصرَعُها مرةً وتعدِلُها أخرى، حتى تَهيج. ومثلُ الكافرِ كَمَثلِ الأَرْزَةِ المُجْذِية على أَصلِها، لا يُفيئُها شيءٌ حتى يكونَ انجعامُها مرةً واحدةً»[1].

أتعلم:

الخامة: النبتة الغضّة اللّينة من الزرع.

الأرز: شجر حُرجِيٌّ من فصيلة الصنوبريات، واحدته أرْزَة.

المجذية: الثابتة المنتصبة.

راوي الحديث:

كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي السَّلَمي، كان مِمَّن شهد العقبة في قول الجميع، واختلف في شهوده بدراً، والصحيح أنّه لم يشهدها. آخى الرسول ﷺ بينه وبين طلحة بن عبيد الله، وشهد أُحداً وجرح فيها أحد عشر جُرحاً. ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ إلا في غزوة بدر وتبوك. أمّا تخلُّفه عن غزوة بدر فكان لسرعة خروج المسلمين إلى المعركة، وأمّا تبوك فقد تخلّف عنها لشدة الحر وقتئذٍ. وهو أحد الثلاثة الذين خُلفِّوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وتاب الله عليهم، ونزلت فيهم الآيات المعروفة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١١٨، وقصته في ذلك مشهورة.

كان من شعراء رسول الله ﷺ، قال ابن سيرين: كان شعراء النبي ﷺ حسانَ بن ثابت، وكعبَ بن مالك، وعبدَ الله بن رواحة؛ فكان كعب يخوفهم الحرب، وكان حسان يُقبل على الأنساب، وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر.

١ أخرجه مسلم. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب مثل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجر الأرز.

شرح الحديث:

مخاطبة النبي ﷺ الناس على قدر عقولهم:

إنّ من كياسة النبي ﷺ وفصاحته وحسن تعامله مع الآخرين، سيما في الدعوة إلى الله والتوجيه والإرشاد، أنّه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويضرب لهم الأمثال؛ لتقريب الأمر أو الصورة المراد شرحها وبيانها من واقعهم المعاش، بحيث لا يترك لبساً أو شيئاً غير واضح في ذهن المستمع وعقله. وهذا بلا ريب فصاحة وبلاغة وحسن خطاب، فعلى الدعاة أن يتحلوا بهذه الصفة ويخاطبوا الناس بما يفهمون، وبما يدركون، ويضربوا لهم الأمثال من واقعهم حتى تصل المعلومة أو يصل المراد إلى الأذهان والعقول، وتتضح الصور بما لا يدعُ مجالاً للخلط أو الخطأ في الفهم.

التوجيه النبوي لأمر النِّعَم والابتلاءات؟

يشبّه النبي ﷺ المؤمن فيما يمر به من ابتلاءاتٍ ومِحَنٍ أو أمراضٍ أو نقصٍ في الأنفس والثمرات؛ وذلك في نفسه أو ولده أو زوجه أو ماله، بالنبتة الغضة الطرية، ولكنّ هذه الابتلاءات والمحن لا تزعزع إيمانه، ولا تخدش عقيدته، ولا تُخرجه عن دائرة الرضا بقضاء الله وقدره وصبره على ابتلاء الله له، بل في ذلك تكفير لذنوبه وخطاياه، ورفع لدرجاته ومنازله عند ربه، قال ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»[1].

وهذا على عكس الكافر أو المنافق؛ إذ قد لا يُلمّ به شيء من المكروهات أو المصائب التي تخفف من سيئاته وذنوبه؛ فيبقى في حالة من الرخاء ورغد العيش حتى يأتيه الأجل المحتوم وهو يحمل العظيم من الذنوب أو السيئات، ومعلوم أنّ الكافر أو المشرك لا يُكَفِّر من ذنوبه شيء ممّا يمر به من مصائب أو محن، فشبّهه الرسول ﷺ بشجرة الأَرْز الضخمة المُجْذية (الثابتة المنتصبة) التي لا تستطيع الريح إمالتها، فتنجعم؛ أي: تُقْتلَع من الجذور بفعل الأعاصير أو الرياح الشديدة جداً. فقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، قال: ثم قرأ: «**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد**»[2].

وبهذا تتبين لنا السنن الربانية في الابتلاءات والنِّعَم، ووجوب فهمها فهماً سليماً يتوافق مع الشرع الحنيف، وينظر إلى هذه الأمور في جانب النِّعَم والابتلاءات نظرة صائبة على الوجه الذي يريده خالق

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صحيح.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير(تفسير سورة هود)، باب: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾.

العباد ومدبر أمرهم ومحاسبهم وسائلهم عن الحقير والقطمير، فليس البلاء الواقع على الإنسان دليلاً على عدم رضا الله عنه، فالرسول ﷺ خير البشر ومع كل ذلك هو من أكثر الناس ابتلاءً. قال ﷺ: «**أكثر الناس ابتلاءً الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، ويُبتلى المرء على قدر دينه**»[1].

كما أنّ رفع البلاء أو عدم ابتلاء الإنسان ليس دليلاً على رضا الله عن هذا الإنسان أو رفعة منزلته عند الله سبحانه. فقد نجد بعض الظالمين يتقلبون في النِّعَم وهم أبغض الناس إلى الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف: ٣٣ - ٣٥.

ما يرشد إليه الحديث:

١ من حسن أساليب الخطاب في الدعوة إلى الله تعالى مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

٢ ضرب المثل يُقرِّب الصورة للأذهان والعقول.

٣ إعطاء اللهُ العبدَ لا يعني دائماً رضا الله على هذا العبد.

٤ الابتلاء للعبد ليس دائماً علامة سخط الله على المبتلى.

التقويم

١ أكمل الحديث الشريف: «**مثل المؤمن كمثل الخامة . . . . . الحديث**».

٢ أعرّف براوي الحديث الشريف.

٣ كان للنبي ﷺ أسلوب مميز في الدعوة إلى الله تعالى والتوجيه والإرشاد، أبيِّنُهُ.

٤ أوضح السُّنَن الربانية في فهم أمر النِّعَم والابتلاءات.

٥ أشرح الحديث: «**ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها . . . . مرة واحدة**».

٦ أذكر أربعة أمور تستفاد من الحديث.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى - باب أشد الناس بلاءً الأنبياء - وقد أخرجته في ترجمة الباب.

الدرس

١٨

خطورة النفاق (حفظ وشرح)

عن عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال: «أربعٌ منْ كُنَّ فيهِ كان مُنافقاً خالصاً، ومَنْ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ منهنَّ كانت فيهِ خَصْلةٌ من النفاقِ حتى يَدَعها: إذا ائتُمنَ خانَ، وإذا حدَّثَ كذبَ، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فجرَ»[1].

راوي الحديث

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أسلم قبل أبيه (وكان إسلام أبيه في بداية السنة الثامنة للهجرة)، وكان فاضلاً عالماً، قارئاً للقرآن. استأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه، فأذن له ﷺ، فقال: يا رسول الله، أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: «**نعم، فإنّي لا أقول إلا حقاً**. . . .»[2].

قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنّه كان يكتب ولا أكتب.

توفي سنة خمس وستين للهجرة.

شرح الحديث:

في هذا الحديث الشريف يشير النبي ﷺ إلى أمر مهم وشأن اجتماعي خطير، وهو النفاق. **والنفاق**: أن يبطن الإنسان خلاف ما يظهر، ولذلك حين عرف العلماء النفاق العقدي، قالوا: أن يبطن المرء الكفر ويظهر الإيمان. والمنافق لا يُعرف أمره على الحقيقة، ويبقى شأنه الحقيقي مغيباً عن الناس، فقد يقول شيئاً وقناعاته الحقيقية شيء آخر، وقد يعلن عن شيء وسريرته خلاف ذلك. وقد يضمر للناس الشر ويُظهر لهم الخير تكلفاً وتصنعاً. وهذه أخلاق -بلا شك- رديئة وغير مُرضية، وصاحبها مذموم ممقوت عند الله وعند الناس. والأصل في الإنسان أن يكون متوازناً ومنسجماً مع ما يقول، وأن يكون باطنه كظاهره.

والمنافقون لا ثقة بهم، ولا يعتمد عليهم في الصعوبات والمُلمّات ووقت المحن، فالخذلان عندهم معهود عند اشتداد الحاجة إليهم، وهذا ما صنعه المنافقون مع رسول الله ﷺ قبيل غزوة أحد حينما انشق عبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين ومَنْ معه من المنافقين عن رسول الله ﷺ قبيل المعركة.

١ أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامات المنافق.

٢ أخرجه أبو داود في سننه: كتاب العلم، باب في كتاب العلم، وهو: حديث صحيح.

أقسام النفاق:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

الأول: **النفاق العقدي**، الذي يبدي فيه الإنسان الإسلام، وهو في حقيقته كافر رافض للإسلام. وهذا النفاق هو الأخطر والأشد، فهو مُخرِجٌ للإنسان من الدين، وقد توعّد الله صاحبه بمصير كمصير الكافر في نار جهنم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤٠، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ النساء: ١٤٥. ونظراً لخطورة شأن المنافقين فقد أنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم الدين، وسمّى سورة من سور القرآن الكريم باسمهم، وهي سورة (المنافقون). وفيهم خاطب الله تعالى نبيه؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ التوبة: ٤٨.

الثاني: **النفاق العملي**، الذي يتصف فيه الإنسان بصفة أو أكثر من صفات المنافقين، وهو خطير وشديد، لكنه لا يصل إلى درجة الأول؛ لأنّ الأول صاحبه كافر، أمّا الثاني فصاحبه مسلم عاصٍ أو فاسق.

صفات المنافق كما بينها الحديث الشريف:

أولاها: **إذا ائتمن خان**: إذ لا يجوز للمسلم أن يكون خائناً لما استؤمن عليه، والأمانة هي أوسع من أن يقتصر فيها على أمانة المال فقط، فمن الممكن أن يؤتَمن الإنسان حتى على حديث، فلا يجوز له أن يفشيه ويذيعه.

الثانية: **إذا حدّث كذب**: وهذه صفة سيئة جداً في الإنسان، وقد توعّد الله الكاذبين في أكثر من آية، بل ولعنهم، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران: ١٦، وقال ﷺ: «**وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً**»[1]، والكذّاب هو الذي يُحدِّث عن الأمور أو الأشياء بخلاف ما هي عليه، قاصداً الكذب.

الثالثة: **إذا عاهد غدر**: أي أنّ المسلم إذا كان بينه وبين أحد من الناس عهد أو اتفاقية، لا يحل له ولا يجوز أن ينقضها غدراً وغيلة، بل عليه أن يحافظ على العهد حتى تنقضي مدته.

وإذا خاف النقض من الطرف الآخر يخبره بأنّه قد نقض هذا العهد وهو ما يسمونه (النبذ)، وهو: الإخبار بنقض العهد من باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب في قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ الأنفال: ٥٨، وكذلك الأمر مع الإمام أو الخليفة إذا كان بينه وبين الآخرين من مشركين أو ذميين عهد فلا يجوز له أن يغدر ويخون هذا العهد. وهذه أخلاق يلتزمها المسلم في السلم وفي الحرب، وسواء أكان ذلك مع المسلمين أم غير المسلمين.

الرابعة: إذا خاصم فجر: والفجور: هو الميل عن الحق والاحتيال في رده، أو المبالغة في الخصومة والعداوة لدرجة الخروج عن الحق والميل عنه.

وإذا كان تجاوُز الحد والحق لا يجوز في حالات الردّ على القتل العمد والقتل الظلم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ ﴾ الإسراء: ٣٣، فكيف إذا كان الأمر فيما هو دون القتل؟ فالمسلم لا يتعدى ولا يظلم ولا يُسرف في أخذ حقه أو في رد الاعتداء عن نفسه.

وقد نهى الرسول ﷺ عن هذه الصفات، وحذر منها نظراً لخطورتها وسوئها، ونظراً لذمامتها وقبحها، لدرجة أن جعلها الشارع الحكيم من صفات المنافقين؛ بمعنى أنّها صفات لا تليق بالمسلم، ولا يجوز له أن يتصف بها أو يتصف بواحدة منها، فعلى المسلم في سلوكه وعلاقاته الاجتماعية أن يكون بعيداً عن هذه الصفات السيئة.

■ لماذا اقتصر الحديث على ذكر هذه الصفات دون سواها؟

ذكر النبي ﷺ هذه الصفات وعدّها من خصال المنافقين وأخلاقهم؛ لأنّها هي الجامعة لسواها من الصفات، فذكرُها يغني عن ذكر سواها، إذ سواها وغيرها متضمّن فيها؛ قال العلامة الحافظ ابن حجر رحمه الله: ووجه الاقتصار على هذه العلامات أنّها مبنية على ما عداها، إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية؛ فنبَّه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخُلف.

■ ما يرشد إليه الحديث:

١ التحذير من النفاق بنوعيه العقدي والعملي.

٢ لا يجوز للمسلم أن يتصف بصفات المنافقين أو بصفة من صفاتهم.

٣ شخصية المسلم متميزة في أفعاله الخيّرة وسلوكه القويم.

التقويم

١ أكمل الحديث الشريف: قال ﷺ: «**أربع من كُنَّ فيه . . . . . الحديث**».

٢ أعرّف برواي الحديث الشريف.

٣ أشرح قوله ﷺ: «**إذا عاهد غدر**».

٤ أعلل: ذِكرُ النبي ﷺ لهذه الصفات الأربع فقط.

٥ أستنبط ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث النبوي.

٦ أفرق بين النفاق العقدي والعملي.

الفصل الدراسي الثاني

الوحـــدة

٢

الحديث النبوي الشريف (شرح)

الدرس
١٩

الحض على التوبة (شرح)

عن الحارثِ بن سويدٍ، قال: دخلتُ على عبدِ الله أَعودُه، وهو مريضٌ، فحدثنا بحديثين: حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله ﷺ، قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «لَلَهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِه المؤمنِ منْ رجلٍ في أرضٍ دَوِيَّةٍ مهْلكَة، معهُ راحلتُهُ، عليها طعامُهُ وشرابهُ، فنامَ فاستيقظَ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركَهُ العطشُ، ثمَّ قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيهِ فأنامُ حتى أموت، فوضع رأسه على ساعدِهِ ليموت، فاستيقظَ وعندَهُ راحلتُهُ، وعليها زادُهُ، وطعامُهُ وشرابُه، فاللهُ أشدُ فرحاً بتوبةِ العبدِ المؤمنِ من هذا براحلتِهِ وزادِه»[1].

راوي الحديث:

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمَشاهِد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان كثير الولوج على النبي ﷺ، ومناقبه جمَّةٌ، وأقرّه عمر على الكوفة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وروى له الجماعة.

شرح الحديث:

ظاهر هذا الحديث الإخبار بشدة فرح الله عزّ وجلّ بتوبة العبد إذا تاب. **والتوبة تعني**: الرجوع عن الذنب.

ولها عند العلماء شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم عزماً جازماً ألا يعود إلى مثلها أبداً. فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي، فلها شرط رابع، وهو رد الحق إلى صاحبه، أو طلب العفو والمسامحة منه.

الحث على التوبة:

جاء في الحث على التوبة وقبولها أحاديث كثيرة، منها: أنّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عزّ وجلّ يبسط**

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح ٣-٢٧٤٤.

يده في الليل؛ ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسط يده في النهار؛ ليتوبَ مسيءُ الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها»[1]، فلا يختص قبولها في وقت من الأوقات.

التوبة من أهم قواعد الإسلام، وهي أولى مقامات سالكي الآخرة، وحد قبولها أن تطلع الشمس من مغربها؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ تاب قبل أن تطلع الشمسُ من مغربها، تابَ اللهُ عليه**»[2].

وباب التوبة مفتوح للمرء إلى ما قبل الغرغرة -وهي حالة النزع-، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ**»[3]، والأصل أن يبادر المسلم إلى التوبة حال حدوث الذنب.

■ فرح الله -تعالى- بتوبة عبده:

في قوله ﷺ: «**لَلّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن**»، دلالة ظاهرة على فرح الله تعالى بتوبة العباد، فما معنى فرح الله سبحانه وتعالى بتوبة العبد؟ وهل يوصف الله تعالى بمثل هذه الأوصاف المتغيرة التي وصف بها مخلوقاته؟

والجواب: أنّ هذه الأوصاف التي هي من صفات المخلوقين، مثل: الفرح، والحب، وكل صفة تقتضي التغير لا يجوز أن يوصف الله بحقيقتها، وإن ورد شيء من ذلك - كما هو الحال في هذا الحديث الشريف- حمل على معنى يليق به سبحانه وتعالى، فيقال حينئذ إن هذه الألفاظ من ألفاظ الكنايات، فيكنّى بفرح الله تعالى عن كثرة إحسانه سبحانه للتائب، وكثرة تجاوزه عنه، وعظيم فضله عليه.

■ ضَربُ المَثَلِ:

ضرب الرسول ﷺ مثلاً لصاحب الراحلة، فما معنى ذلك؟ وما الحكمة من استخدام المثل في مثل هذا المقام؟

معنى قوله ﷺ: «**من رجل في أرض دوّية مهْلكة**» أرضٌ قفرٌ بريةٌ لا نبات فيها، وفي العيش في مثل هذه الأرض مظنة الهلاك لمن انقطعت به أسباب الحياة، وهذا ما تفيده عبارة «**دويَّة مهلكة**»، ولفظ « دوية» بفتح الدال، وتشديد الياء، وفي رواية لمسلم: (بداويَّة من الأرض) بزيادة ألف، وهي بتشديد الياء أيضاً، وكلاهما صحيح ويفيد المعنى نفسه.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ح رقم (٣-(٢٧٥٩).

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح رقم ٤٣- (٢٧٠٣).

٣ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

■ **قوله ﷺ: «معه راحلته، عليها طعامه وشرابه»:**

وهذه عدّته في هذه الأرض الدّويّة، فنام لثقته براحلته التي عليها طعامه وشرابه، ثم استيقظ وقد ذهبت، وخرج في طلبها حتى أدركه العطش، وأيس منها، فرأى أن يرجع إلى مكانه الذي كان فيه فينام حتى يموت فيه، فرجع إلى مكانه فغلبته عينه، فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده، ثم قال من شدة الفرح -كما في رواية مسلم[1]-: اللهمّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)؛ فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده.

وفي ضرب هذا المثل حكمة عظيمة، وهي المقاربة الذهنية للسامع؛ حتى يتصور عظيم حب الله تعالى ورحمته لعباده.

■ ما يستفاد من الحديث:

١ جواز سفر المؤمن وحده؛ لأنّه لا يضرب الشارع المثل إلا بما يجوز، والحديث الوارد محمول في النهي عن السفر منفرداً محمولٌ على الكراهة جمعاً بينهما.

٢ تسمية المفازة التي ليس فيها ما يؤكل، ولا يشرب مَهلكة.

٣ مَنِ اعتمد على غير الله خذله، ومَنِ اعتمد على الله كفاه.

٤ ضرب المثل بما يصل إلى الإفهام من الأمور المحسوسة.

٥ فضل التوبة من العبد المؤمن، والحضّ عليها.

التقويم

١ أكمل ما يأتي: (لَلّهُ أشد فرحاً بتوبة. . . . . الحديث).

٢ أفسرِّ معنى الكلمات الآتية: التوبة، مهلكة، دويَّة.

٣ أوضح معنى فرح الله سبحانه وتعالى بتوبة العبد المؤمن.

٤ أستنبط أربع فوائد من الحديث الشريف.

---

١ في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح رقم ٧-(٢٧٤٧)

الدرس
٢٠

سَعَة رحمة الله جل وعلا (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قالَ رجلٌ لمْ يعملْ حسنةً قطُّ لأهلِه: إذا ماتَ فحرِّقوهُ، ثمَّ اذْروا نصفَهُ في البَرِّ، ونصفَهُ في البحرِ، فواللهِ لَئِن قَدَراللهُ عليهِ ليعذِّبَنهُ عذاباً لا يعذبُهُ أحداً منَ العالمين، فلما ماتَ الرجلُ فعلوا ما أمرهُمْ، فأمرَ اللهُ البَرَّ فجمعَ ما فيهِ، وأمرَ البَحْرَ فجمعَ ما فيهِ، ثمَّ قالَ: لمَ فعلتَ هذا؟ قالَ: منْ خشيتِكَ يا ربِّ، وأنتَ أعلمُ، فغفرَ اللهُ لهُ»[1].

شرح الحديث:

هذا الحديث النبوي الشريف يتحدث عن حالة إنسانية غريبة لشخص قضى حياته بعيداً عن الله تعالى، لم يعمل حسنةً واحدةً قط، لكنّ ضميره استيقظ في آخر العمر، واستحكم الخوف على قلبه، فخطر له أمرٌ غريب، حيث طلب من أهله أن يحرقوا جسده، وينثروا رماده؛ لتفرقه الريح ظانّاً أنّ هذا الأمر يمكن أن ينجيه من عذاب الله تعالى، لنجد في نهاية المطاف أنَّ سَعَة رحمة الله تعالى التي لم تخطر على قلب بشر، وخشيته الكبيرة من الله تعالى كانتا سبباً في نجاته ومغفرة ذنوبه.

قوله ﷺ: «قال رجلٌ لم يعمل حسنةً قط لأهله»:

الحديث يتكلم عن رجلٍ عاش في ظلمات البُعد عن الله، لا يعرف الطاعة، ولا يفعل المعروف، ولا ينشر الخير، وهذا يعني بالضرورة أنَّه كان منغمساً في المعاصي؛ صغائرها وكبائرها، مسرفٌ على نفسه، مقصرٌ في جنب الله تعالى، قد خلت حياته من كل نور، ومن كل فضيلة.

ومن حقنا هنا أن نتعجب من المدى الذي يمكن أن ينحدر إليه الإنسان، لدرجة أنَّه لم يسجل على صفحة حياته التي قد تمتد إلى عشرات السنين حسنة واحدة.

وها هو يشعر بدنوّ أجله وقرب نهايته، فيطلب من أهله تنفيذ وصيته، وهي من أغرب الوصايا التي قد تخطر على عقل إنسان.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

■ **قوله ﷺ: «إذا مات فحرِّقوه، ثمَّ اذْروا نصفه في البَرِّ، ونصفه في البحر»:**

الكلام هنا بصيغة الغائب (إذا مات فحرِّقوه) مع أن ظاهر السياق يقتضي أن يقول : إذا مِتُّ فحرقوني، وهذا لا يتعارض مع أساليب العربية، فكأنّ النبي ﷺ يحكي نيابةً عنه، على اعتبار أنّ هذه القصة قد حدثت في أزمان سابقة، وعند قوم من الأقوام التي اندثرت.

وهذه الوصية غريبة؛ لأنَّ عادةً الموصي أن يطلب من أهله أن يقوموا بالصدقة عنّه مثلاً، أو يوصي بالعمل الصالح، أو عدم البكاء بعد موته، لكن أن يوصي بأن يُحرَق جثمانه، وأن ينثر رماده؛ نصفٌ في البر ونصفٌ في البحر، فهذه وصيةٌ غريبة.

وكلمة (اذْروا): بمعنى انثروا، ومنها المِذراة، وهي: الأداة التي يستخدمها الفلاح في نثر التبن بعد درسه، وهي تختلف عن كلمة (ذروا)؛ أي اتركوا.

■ **قوله ﷺ: «فوالله، لَئِن قَدَرَ الله عليه، ليعذِّبنه عذاباً لا يُعذِّبُه أحداً من العالمين»:**

وهذا قَسَمٌ من هذا الرجل بالله رب العالمين، يفسر فيه وصيته المستغربة، ويبرر كلامه السابق، فدافِعُهُ هو الخوف من عذاب الله تعالى، فأراد أن يحوِّل جسده إلى رماد تذروه الرياح، وظنَّ أنَّ هذا الأمر يستحيل معه اجتماع الذرات مرة أخرى.

والكلام الصادر من الرجل كلام خطير (لئن قَدَرَ الله عليه)؛ لأنّ فيه تشكيكاً في قدرة الله تعالى على البعث وإعادة أجساد الخلق بعد أن تفرقت في الأرض، وهذا يتعارض مع عقيدة المسلم الذي يؤمن بقدرة الله تعالى المطلقة التي لا تحدها حدود.

وأجاب العلماء على هذه الإشكالية الواردة في النص بأنَّ هذا الكلام الصادر من الرجل، إنّما جاء نتيجة جهله، وليس إنكاراً للبعث، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنَّه إنّما فعل ذلك من خشية الله تعالى.

قال ابن قتيبة: قد يغلط في بعض الصفات قومٌ من المسلمين فلا يكفرون بذلك.

■ تنفيذ الوصية:

وما إن مات هذا الرجل حتى نفَّذَ أهله الوصية، كما ورد في الحديث: «**فلمّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم**»، ولا بد من التذكير هنا أنَّ هذا الرجل كان من الأقوام السابقة للإسلام، ونحن لا نعرف الحكم الشرعي عندهم في تنفيذ الوصايا، أمّا عندنا -نحن المسلمين- فالحكم الشرعي هو وجوب تنفيذ وصية الميت إن كانت في أمر مباح أو في طاعة من الطاعات، أمّا إن كانت فيها مخالفة شرعية كهذه الوصية فلا يجوز إنفاذها.

■ **قوله ﷺ: «فأمر الله البَرَّ فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه»:**

هذا إخبار عمّا سيقع يوم القيامة، وكونه جاء بصيغة الفعل الماضي (فأمر)، فلا يعني أنَّ الأمر قد تم سابقاً، وإنّما عبّر عنه بالماضي ليقول لنا: إنّ الأمر سيتحقق وسيقع بشكل يقيني كأنّه حدث في الماضي وانتهى.

وفيه أيضاً بيان لقدرة الله تعالى، حيث جمع هذا الجسد بعد أن تفرق على شكل ذرّات، وبددته الريح في كل مكان، وذلك عندما يقول له سبحانه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ البقرة: ١١٧.

والخطاب هنا يتعلق بالجسد، وليس كما قال بعضهم: إنّه خاطب روحه؛ لأنَّ ذلك لا يناسب قوله (فجمع ما فيه)؛ أي البر والبحر، فالجمع والتفريق يكون للجسد لا للروح.

■ الخشية من الله تغفر الذنوب وتمحو الخطايا:

■ **قوله ﷺ «ثمَّ قال: لمَ فعلتَ هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم»:**

أي بعد أن بعثه الله تعالى، قال له: لمَ فعلتَ هذا؟ والله تعالى يعلم حقيقة جوابه، ويعلم الدافع وراء فعله، فهو بكل شيءٍ عليم، ولا تخفى عليه خافيةٌ، وإنّما سأله ليستنطقه لا ليعلم الجواب منه، فالعلم بالجواب حاصل مسبقاً. فأجاب الرجل: إنّ دافعه هو الخشية من رب العالمين.

■ **قوله ﷺ: «فغفر الله له»:**

أي: لما رأى سبحانه الصدق عند هذا الرجل، ومقدار الخشية المتولدة في قلبه تجاوز عنه، كيف لا ونحن نعلم مقدار سَعَةِ رحمةِ الله تعالى التي وسعت كل شيء، وأنَّ الله تعالى لا يردّ مَنْ جاءه مقبلاً عليه، خائفاً من عذابه.

وهنا فائدة عظيمة، وهي أنَّ باب التوبة مفتوح لا يغلق أمام أحد ما لم يغرغر، مهما عظمت الذنوب، ومهما كان التقصير فادحاً؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر: ٥٣، والأمور بخواتيمها، فإذا كان آخر عهد الإنسان هو التوبة والصدق، كان مقبولاً عند الله تعالى.

ما يستفاد من الحديث:

١ سَعَة رحمة الله تعالى .

٢ الخوف من الله والخشية من عذابه منجاةٌ للمسلم .

٣ قدرة الله تعالى عظيمة ، لا تحدّها حدود .

٤ المسلم يلتزم بالأحكام الواردة في شرعنا ، والتي قد تختلف عن شرعِ مَنْ قبلنا .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) قصة الرجل الواردة في الحديث وقعت في زمن النبي ﷺ .

ب ( ) المقصود بأنّ الرجل لم يعمل حسنة قط هو التقليل من حسناته لا النفي المطلق .

جـ ( ) (اذروا) الواردة في الحديث بمعنى اتركوا ؛ أي اتركوا رماده حتى يتطاير في البر والبحر .

د ( ) قام أهل الرجل بتنفيذ وصيته .

٢ أشرح قوله ﷺ على لسان الرجل : «**لئن قدر الله عليه ليعذبنَّه عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين**» .

٣ أعلل ما يأتي :

أ الجمع في الحديث للجسد وليس للروح .

ب غفر الله تعالى للرجل مع أنَّه لم يعمل حسنةً قط .

٤ أذكر ثلاثاً ممّا يستفاد من الحديث .

الدرس

٢١

الرفق بالحيوان (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «دخلتِ امرأةٌ النارَ في هِرّةٍ ربَطتْها، فلا هيَ أطْعَمَتْها ولا هيَ أرْسَلَتْها تأكل منْ خَشاشِ الأرضِ، حتى ماتتْ هَزْلاً»[1].

شرح الحديث:

جاء ديننا العظيم رحمة للعالَمين؛ الإنسِ والجنِّ وسائرِ المخلوقات، وأخرج الله عزّ وجلّ به أُمّةً رحيمةً رفيقةً، لا يُسمح فيها لإنسان أن يتعَدّى على حقّ أخيه الإنسان، ولا على البهائم العجماء، وأسّس هذا الدين في أذهاننا أنّ أذيّة الحيوان محرّمة، فسبق بذلك العالم كله إلى الرّفق بالحيوان ورحمته والعناية به، ومن هنا جاء هذا الحديث الشريف في شأن الهرّة.

قوله ﷺ: «دخلت امرأة النّار في هِرّة ربطتها»:

أي عُذِّبت هذه المرأة في النار بسبب الهرّة، وظاهر الحديث يبيّن إسلامها. وفي رواية: دخلت امرأة النّار (جَرّاء هرّة)؛ أي: بسبب هرّة؛ لأنّ حبْسَ الهرّة دون طعام أدى إلى موتها؛ فسبّب العذاب للمرأة، وأنّ إصرارها على ذلك زاد في عذابها، ولا يُفهم من الحديث تخليدها في النار، إلاّ أنّ ما قامت به من الإصرار على حبس الهرّة يعتبر من الذنوب الكبيرة التي توجب النار، وأنّ حسابها ومناقشتها يوم القيامة تكون على هذا الفعل الشنيع. والهرّة أنثى الهِرّ، وتجمع على هِرَرَة، وهي القِطّة.

أمّا قوله (ربَطَتْها) وفي رواية: (سَجَنَتْها)، فمعناه: أنّها أوثقتها وحبستها. وورد عند البخاري: عن ابن عمر: «أنّ النبيّ ﷺ صلّى صلاة الكسوف فقال: دنَتْ مني النار حتى قلتُ: أيّ ربّ وأنا معهم؟ فإذا امرأةٌ- حَسِبتُ أنّه قال- تخدِشُها هِرّة، قال ما شأنُ هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً»[2]، فالهرّة في هذا الحديث -كما رآها الرسول ﷺ عندما دنتْ منه النار- تقتصّ من المرأة التي عذّبتها في الدنيا بالحبس والجوع، فتخدِشها وتَخمِشُها؛ وذلك أثناء تعذيبها في النّار.

---

١ أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، وأنّها سبقت غضبه، رقم ٢١١٠، وفي كتاب السلام: باب ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، باب: تحريم قتل الهرّة، من الكتاب نفسه.

٢ أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.

■ **قوله ﷺ: «فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خَشاش الأرض»:**

أي أنّ المرأة لم تكتفِ بربط الهرّة وحبسها، وإنّما منعتها أيضاً من الطعام حتى ماتت، وهذا الفعل يدلّ على قسوة قلبٍ واضحة يفترض أنّها لا تقع من مسلم امتزجت كلّ أفعاله بالرحمة والإحسان. فقوله ﷺ: «**ولا هي أرسلتها تأكل من خَشاش الأرض**»: أي: ولا أطلقت سراحها وحرّيتها لتأكل من خشاش الأرض، والخَشاش بفتح الخاء وكسرِها، تعني: هوامّ الأرض؛ كالحيّات والحشرات، وقيل: صغار الطير، ومفردها خَشاشة، سمِّيت بذلك؛ لأنّها تندسُّ في التراب، من خشّ الشيء إذا دخل فيه.

وفي رواية: (تَرمَّم) بدل (تأكل)، بفتح التاء والميم، أو بضم التاء وكسر الميم، وورد أيضاً بلفظ (تُرمْرِم)؛ أي تتناول النبات بشفتيها، والرّمام: الحشيش.

■ **قوله ﷺ: «حتى ماتت هَزْلاً»:**

أي: ظلّت هذه الهرّة تعاني حتى ماتت من الهُزال، وهو الضعف الناجم عن الحبس (عدم الأكل)، فقد عانت الهرّة كثيراً قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهذه قسوة ما بعدها قسوة بحقّ حيوانٍ أليف يعتبر حارساً للإنسان، وصديقاً له، حيث قال الرسول ﷺ عن القطط: «**إنّها من الطّوافين عليكم**»[1]، وفي رواية (**والطوّافات**)، حيث شبّه الهرة بخدم البيت، الذين يطوفون على أهله لخدمتهم وحراستهم، وكذلك الدوران حول البيت وحراسته من الهوامّ؛ كالأفاعي والعقارب والفئران والحشرات، وغيرها ممّا قد يؤذي البيوت، فالهرّة حارس أمين على البيت وأهله من حيث لا يدرون، ويحتمل أيضاً أنه شبَّهها بمَنْ يطوفون للسؤال وطلب العون من المحسنين، والمعنى: أنّ الأجر في مواساتها والإحسان إليها كالأجر في مواساة مَنْ يطوف للحاجة، ويسأل الناس الإحسان والمساعدة.

والهرّة ليست نجسة، وقد كان الرسول ﷺ يتوضأ بما فضل من الماء الذي تشرب منه؛ فالرسول ﷺ كان يصغي لها الإناء لتشرب ثمّ يتوضأ بما يفضل من الماء الذي شربت منه، مؤكداً أنّها ليست نجسة.

■ **حكم إيذاء باقي الحيوانات الأليفة وحبسها:**

من المعلوم أنّ إيذاء أيٍّ من الحيوانات المحترمة لا يجوز، والحيوانات المحترمة (الأليفة): هي كلّ الحيوانات سوى الفواسق التي تؤذي الناس، والتي سميت فواسق؛ لتجاوزها الحدّ في الايذاء؛ كالحيات والعقارب والفئران وغيرها، وتنضمُّ إليها الحيوانات التي تضرّ؛ كالخنزير، بل إنّ الإحسان للحيوانات المحترمة فيه أجر عظيم؛ لقوله ﷺ: «**بينما رجلٌ بطريق فاشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرِب**

---

١ أخرجه الترمذي: كتاب الوضوء، باب ما جاء في سؤر الهرّة، وقال: حسن صحيح.

ثمّ خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذي بلغ منّي، فنزل البئر فملأ خفّ ماءٍ فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: وإنّ لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: «في كلّ ذات كَبِدٍ رَطْبةٍ أجْرٌ»[1]؛ أي أنّ في كلّ كبدٍ فيه رطوبة الحياة أجر عظيم، سواء في سقايته، أم إطعامه، أم الإحسان إليه.

يستفاد من الحديث:

١ جواز اقتناء الهرة وتربيتها إذا لم يهَمل إطعامها وسقيها.

٢ قتل الحيوان فيه إفساد في الأرض.

٣ الهرة ليست نجسة، والرسول ﷺ كان يتوضأ من فضل سؤرها.

٤ الهرّة طاهرة ولكن لا يجوز أكل لحمها؛ لأنّها من السّباع.

٥ يجوز بيع القط وشراؤه؛ لأنّه من الطاهرات.

٦ القط حارس أمين لصاحبه وبيته وأهله، فهو من الطوافين علينا.

٧ الحثّ على الإحسان للناس ورحمتهم من باب أولى، حيث جاء الحثّ على الإحسان للبهائم.

التقويم

١ أكتب الحديث الشريف: «**دخلت امرأة النار . . . . . الحديث**».

٢ أبين معاني المفردات والتراكيب الآتية: خشاش الأرض، الطّوافين

٣ أوضح المقصود بما يأتي:

أ قوله ﷺ: «**حتى ماتت هزلاً**».

ب قوله ﷺ: «**دخلت امرأة النّار في هِرّة ربطتها**».

٤ أعلل ما يأتي:

أ يغفر الله للمذنب الذي يرحم الحيوان.

ب رؤية الرسول ﷺ للمرأة التي حبست الهرة في النار.

٥ أذكر خمسة دروس يرشد إليها الحديث الشريف.

---

١ أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب الآبار على الطريق إذا لم يتأذَ بها.

الدرس
٢٢

فضل مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَة

عن جرير بن عبد الله قال: جاءَ ناسٌ من الأعراب إلى رسولِ اللهِ ﷺ، عليهمُ الصّوفُ فرأى سوءَ حالهمْ قد أصابتهمْ حاجةٌ، فحثَ الناسَ على الصدقةِ، فأبطؤوا عنهُ، حتى رؤيَ ذلكَ في وجههِ. قال: ثمَّ إنَّ رجلاً منَ الأنصارِ جاءَ بِصُرَةٍ منْ وَرِقٍ، ثمَّ جاءَ آخرُ، ثمَّ تتابعوا حتى عُرِفَ السرورُ في وجههِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ «مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فعُمِلَ بها بعدَهُ، كُتِبَ لهُ مثلُ أجرِ مَنْ عملَ بها، ولا ينْقُصُ منْ أجورهِمْ شيءٌ. ومَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنّةً سيئةً، فعُمِلَ بها بعدَهُ، كُتِبَ عليهِ مثلُ وزرِ مَنْ عملَ بها، ولا يُنقَصُ منْ أوزارهِمْ شيءٌ»[1].

راوي الحديث:

جرير بن عبد الله بن جابر، أبو عبد الله البجلي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً وكان حسن الصورة، قال عمر بن الخطاب ﷺ: جرير يوسف هذه الأمة، كان سيد قومه، وكان له في الحروب بالعراق؛ كالقادسية وغيرها أثر عظيم، أقام جرير بالكوفة وسكنها، ثم انتقل إلى قَرْقيسياء، فمات بها سنة واحدة وخمسين للهجرة، وقيل: سنة أربع وخمسين.

أتعلم:

قرقسياء: هي قرغيزيا اليوم، وهي إحدى الدول الإسلامية التي انشقت عن الاتحاد السوفيتي.

شرح الحديث:

اهتمام المسؤول بالرعية، والرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة. حيث يُبين هذا الحديث النبوي الشريف مدى حرص الرسول ﷺ على رعيته، وتحمله لمسؤلياته تجاههم، واهتمامه بشؤونهم. فهو ﷺ ينظر إلى الناس بوجه عام والمسلمين بوجه خاص نظرة الحنوّ والعطف والعطاء، وما كان ينتظر ﷺ حتى يسأله الشخص أو تسأله المجموعة وتطلب منه ما تحتاجه.

بل كان يبادر إلى مد يد العون والعطاء لهم بمجرد معرفته بسوء حالهم أو حاجتهم. وهذا إن دل على

١ أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب من سنّ حسنة أو سيئة، ومَنْ دعا إلى هدى أو ضلالة، ح رقم (١٠١٧).

شيء فإنّما يدل على مدى الإنسانية والرحمة عند هذا القائد الفذ والمسؤول المخلص، كما يدل ذلك دلالة واضحة على مدى اهتمامه ﷺ بأصحابه والناس جميعاً دون تفريق بين رجل وآخر، أو فئة وأخرى؛ فهؤلاء أعراب قادمون من خارج المجتمع المدني الذي يعيش بين جنبيه هذا النبي العظيم، فلا ينهض من مكانه حتى يؤمن هؤلاء النفر بما يحتاجون إليه من مال وكساء وطعام.

وهكذا يجب أن يكون المسؤول والقائد والأمير والسلطان، لا يعرف العيش الهنيء ما لم يؤمن لشعبه ورعيته ما يحتاجون إليه، ولا يشبع حتى يشبعوا، ولا يرقأ له جنب ما دامت رعيته وما دام شعبه غير آمن ولا مطمئن، وما دام الجوع يعضّ بنابه مَنْ هم تحت يده وإمرته وسلطانه. فما أعظم أن يولي الإمام أو الخليفة أو السلطان الاهتمام والعطف والإخلاص لرعيته، وأن يسهر على مصالحهم، ويعمل بكل جهد مستطاع على تأمين حياة كريمة هانئة لهم!

■ التضامن الإسلامي العظيم:

في هذا الحديث بيان واضح في دعوة الإسلام للتضامن وللتعاون على البر والمعروف والخير، وتربية النفوس على البذل والعطاء والجود، وأنّ المال ما هو إلا وسيلة إلى غاية، فوقفة المسلم بجانب أخيه أعظم حباً إلى نفسه من الوَرِق والذهب، والمصلحة العامة مقدمة على مصلحة الفرد، والإيجابية والإيثار مقدم على الأنانية، لهذه المعاني السامية والقيم العظيمة ترى التوجيه النبوي في هذا النص الكريم، كل ذلك كي يُنشئ الإسلام أتباعه والمؤمنين به، ويربيهم على علو الهمة ومقاومة النفس في هلعها وشحها، من أجل أن يقف المسلم مع أخيه المسلم في السرَّاء وفي الضرَّاء، وأن يمده بما يلزمه من احتياجات؛ ما يدفع عنه غائلة الفقر والبؤس والحزن، وفي هذا تصفية للنفوس بعضها تجاه بعض، وتطهيرها من الحسد والضغينة والحقد والأنانية. كما وفي ذلك رصّ للصفوف وتقوية للُّحْمَة وتعاون على المستوى الرفيع في المجتمع المسلم المثالي في أخلاقه وسلوك أفراده ورفعة مبادئه وقيمه.

■ التأصيل الجليل في المنهجية والعمل الصالح:

قوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء**»، فيه إشارة إلى منهجية الإسلام في توجيه الناس نحو العمل الصالح، ونفع المجتمع، والمبادرة إلى الخيرات، والتفنن والإبداع في خدمة الناس، مما يعود على الفاعل بالخير العميم لدرجة أن ينتفع بالأجر والثواب كلما قَلّد الناس هذا الفعل، ويستمر هذا الانتفاع إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجور الآخرين. وقال ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل**

وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»، نرى في المقابل كيف يوجه الرسول الكريم ﷺ الناس إلى ضرورة بُعدهم ونأيهم بأنفسهم عن فعل السوء وتأصيل هذا الفعل، كيلا يتأسى به الناس فيما بعد ويقتدوا؛ لأنّ ذلك سيجر عليهم في المستقبل ويلات ويفتح عليهم أبواباً كثيرة من الشر والسوء والإثم، ولذلك حذر هنا من أي تصرف ذميم أو قبيح يعود بالضرر على المجتمع أو الدعوة إلى ضلالة؛ لأنّ في ذلك إثماً كبيراً وحوباً عظيماً ليس في مجرد الفعل وحسب، بل وفي اقتداء الناس بهذا الفعل، إذ تلحق به مثل أوزار مَنْ تبعه وقلده من الناس دون أن ينقص شيء من أوزارهم، فوزره مساوٍ ومماثل للذين فعلوا فعله وقلدوا سلوكه. وما أعظم هذا النص وأجلّه في باب الوعيد والتهديد!، وبالتالي على النفس أن ترعوي وتنزجر عن فعل السوء والأمر القبيح، قال نبي الله ﷺ: «**لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ وذلك لأنّه أول مَنْ سَنَّ القتل**»[1].

ما يستفاد من الحديث:

يستفاد من الحديث الشريف أمور عدة، منها:

١ ضرورة اهتمام الخليفة أو الحاكم برعيته.

٢ دعوة الإسلام إلى التضامن والتعاون على البر والخير والتقوى.

٣ المجتمع المسلم مجتمع متحابّ متراصّ.

٤ على المسلم أن يفعل الخير ويسنّه.

٥ على المسلم أن ينأى بنفسه عن الفعل السيّئ ولا يسنّه.

١ أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه».

التقويم

١ أكمل الحديث: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام . . . . . الحديث**».

٢ أعرّف براوي الحديث الشريف.

٣ كان رسول الله ﷺ أسوة في التكافل لكل الأمراء والحكام. أوضح ذلك.

٤ أبين دعوة الإسلام إلى التضامن المجتمعي.

٥ أعلل ما يأتي:

أ التأصيل في المنهجية والعمل الصالح.

ب النهي عن التأصيل في الفعل السيّئ.

٦ أذكر أربعة أمور تستفاد من الحديث الشريف.

الدرس

٢٣

اجتناب الكبائر (١) (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي، ﷺ قال: «اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ! وما هنَّ؟ قالَ: الشركُ باللهِ، والسحرُ، وقتلُ النفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِ، وأكلُ الربا، وأكل مالِ اليتيمِ، والتولي يومَ الزحفِ، وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ»[١].

شرح الحديث:

أمر النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أمّته باجتناب سبع خصال، والابتعاد عنها، ووصفها بأنها موبقة؛ أي: مهلكة لمرتكبها.

وهذا الأمر منه ﷺ؛ ليقيم مجتمعاً إسلامياً صالحاً نظيفاً من الدنس، بعيداً عن الفواحش والخبائث، متحلياً بالأخلاق الحميدة، متمسكاً بأوامر الدين، سائراً على نهجٍ قويمٍ من المثل الكريمة، والبُعد عن الأفعال الشنيعة الفاحشة.

قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»:

أي: ابتعدوا عن هذه الكبائر المُهلكة التي تدمر دين المرء، وتوقعه في المهالك. و(الموبقات): المُهلكات، وسميت موبقة؛ لأنّها سبب في هلاك مرتكبيها في الدنيا بما يترتب عليها من الفساد ومن العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

و(الموبقات) جمع موبقة، والمراد بها: الكبيرة. فعن أنسٍ ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس. . . . . الحديث**»[٢].

لماذا اقتصر الرسول ﷺ على هذه السبع؟ مع أنّ الكبائر غيرها كثيرة؟

الجواب على ذلك: أنّ الكبائر على درجات ومستويات، وقد ذكر غير هذه السبع في أحاديث أخرى، واقتصر هنا على هذه السبع لخطورتها، وأثرها المدمر على الفرد، وعلى المجتمع أكثر من غيرها.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب رمي المحصنات.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الآداب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.

ما مفهوم الكبيرة عند العلماء؟

الكبيرة: كل ذنب أُطلق عليه بنصّ كتابٍ أو سُنّةٍ أو إجماعٍ أنّه كبيرة أو عظيمة، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو رُتِّب عليه الحد، أو شُدِّد النكير عليه.

الموبقات السبع:

الشرك بالله:

«**قالوا: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: الشرك بالله**». **والشرك لغة**: من المشاركة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه: ٣٢؛ أي: اجعله شريكي فيه. **واصطلاحاً**: هو أن يجعل المرء لله نداً، يدعوه ويرجوه ويخافه كما يخاف الله.

وبدأ به ﷺ؛ لأنّه أعظم ذنب عُصي الله به، كما جاء في الصحيحين: **عن أبن مسعود: سألت النبي ﷺ: أيّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً، وهو خلقك، قلت: إنّ ذلك لعظيم... الحديث**[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨.

قال ابن كثير: «أخبر تعالى أنّه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؛ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك»، فتبين هذه الآية أنّ الشرك أعظم الذنوب؛ لأنّ الله تعالى أخبر أنّه لا يغفر لِمَنْ لم يتبْ منه، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله؛ لأنّه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، وأمّا ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة، إن شاء غفر لِمَنْ لقيه به، وإن شاء عذّبه به، قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

ومن الجدير بالذكر أنّ الشرك نوعان:

- **شرك أكبر**: وهو مُخرِج من الملة، وصاحبه كافر.
- **شرك أصغر**: وهو من الكبائر التي يأثم صاحبها، لكن لا يُخرج من الملة.

صور من الشرك:

١ **اتخاذ الند من دون الله**: الند: الشبيه، يقال: فلان ندُّ فلان، ونديده؛ أي: مثله؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥، أي: أمثالاً ونظراء، يحبونهم كحب الله. فكل مَنِ اتخذ نداً لله، يدعوه من دونه ويرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ح رقم(٤٤٧٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، ح رقم١٤٢-(٨٦).

من قضاء حاجاته وتفريج كرباته، فجزاؤه النارُ، عن ابن مسعود ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ مات، وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**»[1]، وقلت أنا -أي: ابن مسعود-: مَنْ مات، وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة»، وفي الحديث تحذير من الشرك، وتخويف منه.

٢ **الذبح لغير الله**: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١٧٣، وقد لعن الله مَنْ ذبح لغيره سبحانه وتعالى؛ فعن علي بن أبي طالب ﷺ) قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله مَنْ ذبح لغير الله . . . . . الحديث**»[2].

واللعن: البُعد عن مظانّ الرحمة ومواطنها، وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله. ومن هذا الباب ما يفعله الجهلة من الذبح للجن، وهذا شرك يجب على المسلم أن يطهّر نفسه منه وألا يفعله، أمّا ما يقوم به البعض من الذبح عند شراء سيارة، أو بناء بيت فليس بشرك إذا كان الذبح بنية الشكر لله تعالى.

٣ **النذر لغير الله تعالى**: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجه، فيأتي إلى قبور بعض الصالحين، ويقول: يا سيدي فلان، إنْ رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قُضيت حاجتي فلك كذا وكذا، فهذا النذر باطل بالإجماع؛ لعدة أسباب:

- منها: أنّه نذر لمخلوق والنذر لمخلوق لا يجوز؛ لأنّه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق بل لله وحده.
- ومنها: أنّ المنذور له ميت، والميت لا يقدر على شيء.
- ومنها: أنّه ظن أنّ الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاده ذلك كفر.

إذا علمت هذا فما يقدم إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم حرام، بل كبيرة وشرك بإجماع المسلمين.

والنذر لغير الله إشراك مع الله في العبادة؛ كالذبح لغيره.

٤ **الاستعاذة بغير الله**: **الاستعاذة**: هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجانبه سبحانه من شرِّ كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ الجن: ٦؛ ذلك أنّ الرجل من العرب كان إذا أمسى بوادٍ قفر، وخاف على نفسه، قال: «**أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه**»، يريد كبير الجن.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.

٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ١٠، ١١٨، ١٥٢، ٢١٧، ٣٠٩، ٣٤٧.

وقد أجمع العلماء على أنّه لا يجوز الاستعاذة بغير الله؛ لأنّ من استعاذ بغير الله وتقرب بما يحب، فقد عبده.

٥ **الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غيره سبحانه وتعالى**: الاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار (طلب النصر) والاستعانة (طلب العون).

والفرق بين الاستغاثة والدعاء أنّ الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعمّ من الاستغاثة؛ لأنّه يكون من المكروب وغيره.

٦ **الذهاب إلى العرّافين والكُهّان والسحره والمشعوذين**، فيطلب منهم أن يقرؤوا لهم الطالع والأبراج والكف والفنجان، أو يعملوا السحر، أو يكشفوا لهم عمّا سُرِقَ منهم، وغير ذلك من ادّعاء معرفة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ما يستفاد من الحديث:

١ تحريم كل كبيرة من الكبائر السبع المذكورة.

٢ على الداعية أن يحذّر الناس من الخطر الذي يؤثر على عقيدتهم وسلوكهم.

٣ الإسلام يكوِّن شخصية الفرد، ويحرره من البدع والخرافات.

٤ الإسلام دين المبادئ والمعاملة.

٥ الإسلام يحارب الشرك بكل صوره.

التقويم

١ أبين معاني المفردات الآتية: الموبقة، الشرك، الاستغاثة، الاستعاذة.

٢ أذكر خمساً من صور الشرك.

٣ أبين حكم الذبح لغير الله.

٤ أعلل حرمة ما يأتي:

أ النذر للصالحين من الأموات.

ب قراءة الفنجان والكف والأبراج.

الدرس
٢٤

اجتناب الكبائر (٢) (شرح)

قد تناولنا في الدرس السابق إحدى الموبقات السبع وهو الشرك، وفي هذا الدرس نتناول ما تبقّى من الموبقات السبع الواردة في الحديث، وهي:

السحر:

■ **قوله ﷺ: «والسحر».**

السحر في اللغة: ما خفي ولطف سببه. فهل للسحر حقيقة؟

قيل: هو تخيل فقط، ولا حقيقة له. والصحيح أنّ له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنَّة المشهورة، ولولا أنّ للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه.

■ **السحر نوعان:**

١ **سحر تخيل**: ومنه ما ذُكر في القرآن الكريم عن سحرة فرعون؛ قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ طه: ٦٦؛ فالحبال والعصي التي ألقاها السحرة لم تتحول إلى أفاعٍ حقيقية، وإنّما خيل ذلك للناظر.

٢ **سحر حقيقي**: وهو السحر الذي يؤثر في المسحور، فيسبب له المرض والأذى وغير ذلك؛ كالسحر الذي تعرض له النبي ﷺ على يد أحد اليهود.

■ **حكم السحر:**

السحر محرّم، وهو من الكبائر، وقد يصل إلى مرتبة الكفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢.

قتل النفس بغير حق:

■ **قوله ﷺ: «وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الإسراء: ٣٣؛ أي: لا تقتلوا النفس التي هي معصومة في الأصل إلا محقّين في قتلها، كما في الردة أو القصاص أو الزنا مع الإحصان.

ويعتبر القتل من الكبائر التي تلي الشرك؛ لأنّ فيها إزهاقاً لروح إنسان وإعداماً لحياة أوجدها الله، وتدميراً للبيوت، وتولُّدُ الضغائن والأحقاد بين الناس في المجتمع.

أكل الربا:

قوله ﷺ: «أكل الربا»:

عد الرسول ﷺ أكل الربا من الكبائر المحرمة. والمراد: الابتعاد عن تناوله بأيّ وجه كان؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ البقرة: ٢٧٥، وعبّر هنا بالأكل؛ لأنه أهم وجوه الانتفاع.

وأجمعت الأمة على أنّ الربا محرّم، ومضار الربا ومفاسده لا تحصى، وأنّه لم يحلَّ في شريعة قط؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾ النساء: ١٦١.

وجريمة الربا من أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية؛ فالله سبحانه وتعالى لم يعلن الحرب على الزاني ولا على السارق مع شناعة هذه الجرائم، وإنّما أعلن الحرب على المرابين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ البقرة: ٢٧٩؛ أي: فإن لم تتركوا الربا، فأيقنوا وكونوا على علم قطعي بحرب الله تعالى ورسوله ﷺ لكم، فأيّ مسلم يسمع مثل هذا الوعيد، ثمّ يتعامل بالربا؟!.

أكل مال اليتيم:

قوله ﷺ: «وأكل مال اليتيم»:

على المسلم أن يبتعد عن أكل مال اليتيم، أوالتصرف فيه بما يضر مصلحته من نقص المال أو تلفه؛ لأنّ في ذلك إضعافاً له. وما أبلغ النهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ الإسراء: ٣٤.

ومن واجب المسلم أن يحافظ على مال اليتيم، وأن ينميه بوجوه النماء الشرعية الصحيحة؛ لئلا تأكله الصدقة (الزكاة).

أكل الوصي من مال اليتيم:

الأصل في الوصي أن يستعفف عن مال اليتيم، إلا إن كان فقيراً فله أن يأخذ بقدر حاجته، وما يتناسب مع رعايته لليتيم وماله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ النساء: ٦.

التولي يوم الزحف:

قوله ﷺ: «والتولي يوم الزحف»:

وهو من الكبائر؛ لأنّ فيه إضعافاً لمعنويات المقاتلين، وتعريضهم للانكشاف أمام العدو، **ولا يجوز التولي إلا في حالتين:**

- الانسحاب من أجل الانضمام إلى فرقة أخرى من الجيش.
- إذا كان ضمن خطة للانقضاض على العدو.

وهذا ما ورد في **قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الأنفال: ١٥ - ١٦.

ويلحق بمَنْ يتولى يوم الزحف مَنْ يدل على عورات المسلمين، ويرشد العدو إلى مواطن الضعف فيهم مع علمه أنّه يُلحِق بهم الأذى في النفس والمال والعرض، فإن نسبتَه إلى المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر، مع كونه من الكبائر.

قذف المحصنات:

قوله ﷺ «قذف المحصنات الغافلات»:

أي: شَتْمُهُنَّ واتهامهنّ بالزنا، والمراد بالمحصنات: الحرائر العفيفات، سواء أكُنَّ متزوجاتٍ أم غير متزوجاتٍ، ويشمل القذف المحصنين من الرجال، والتعبير بـ (المحصنات)؛ لأنّ الكثير الغالب لصوق تلك التهم بالنساء، فضلاً عمّا يلحقهنّ بذلك من العيوب والفضائح، نظراً لخصوصية المرأة في المجتمع المسلم، وأنّ ما يمسها يثير فتنة في المجتمع، والمحصنات بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسر الصاد: الحافظات فروجهنّ من الزنا.

الغافلات: أي عن الفواحش وما يُرْمَيْنَ به، وهو كناية -وما أبلغها- عن البريئات؛ لأنّ الغافل برئ عمّا رمي به بهتاناً، واحترز بقوله: (المؤمنات) عن قذف الكافرات، فإنّه ليس من الكبائر.

ما يستفاد من الحديث:

١ التحذير من الكبائر، وبيان خطرها على المجتمع.

٢ لا يجوز التعاطي مع السحرة؛ لما في ذلك من المفاسد.

٣ الأصل الحفاظ على النفس التي حرمها الله، وتحريم الاعتداء عليها.

٤ أعلن القرآن الحرب على مَنْ يتعامل بالربا .

٥ ضرورة الحفاظ على مال اليتيم ، وعدم تعريضه للضياع .

٦ المسلم شجاع يواجه أعداءه بقوة ، ولا يجوز له الهروب من المعركة وقت التحام الجيوش في القتال .

٧ حرمة الإساءة لأعراض المسلمين رجالاً ونساء .

التقويم

١ أعرِّف ما يأتي : السحر ، التولي يوم الزحف ، المحصنات ، الغافلات .

٢ أذكر الحكم الشرعي فيما يأتي :

أ السحر .

ب أكل الوصي من مال اليتيم .

جـ قذف المحصنات .

٣ أبين حقيقة السحر ، مع التمثيل لذلك .

٤ أعلل ما يأتي :

أ حرمة التولي يوم الزحف .

ب التعبير بلفظ المحصنات الغافلات .

جـ التعبير بلفظ المحصنات مع أنّه يشمل الرجال .

الدرس
٢٥

الزهد بما في أيدي الناس (شرح)

عن حكيم بن حزام قال: سألتُ النبيَّ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتُهُ فأعطاني، ثمَّ سألتُه فأعطاني، ثمَّ قال: «إنَّ هذا المالَ -وربما قالَ سفيانُ: قال لي: يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حلوةٌ، فمَنْ أخذَهُ بطيبِ نفسٍ بُورِكَ لهُ فيهِ، ومَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفْسٍ لمْ يبارِكْ لهُ فيهِ، وكانَ كالذي يأكلُ ولا يشبعُ، واليدُ العليا خيرٌ منَ اليدِ السفلى»[1].

راوي الحديث:

حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي، أبو خالد المكي، وهو من أشراف قريش وعقلائها ونبلائها، وَكَانَتْ خَدِيْجَةُ أم المؤمنين عَمَّتَهُ، وَالزُّبَيْرُ ابْنَ عَمِّهِ أسلم يوم الفتح، وشارك في غزوة حنين والطائف، ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين، كان عالماً بالنسب، أخرج له الجماعة.

شرح الحديث:

سبب ورود الحديث: أنّ النبي ﷺ أعطى حكيمَ بن حزام دون ما أعطى أصحابه، فقال حكيم: يا رسول الله، ما كنت أظن أن تَقْصُر بي دون أحد من الناس، فزاده، ثم استزاده حتى رضي؛ فذكر نحو الحديث.

بيَّن هذا الحديث الشريف كرم الرسول ﷺ وسخاءه في البذل والعطاء، حيث أعطى السائل، ثم أعطاه، ثم أعطاه، حتى أجزل له العطاء.

قوله ﷺ: «إنّ هذا المال خَضِرةٌ حُلوة»:

قال ابن الأنباري: قوله: «**المال خَضِرة حلوة**» ليس هو صفة المال، وإنّما هو للتشبيه؛ فكأنّه قال: المال كالنباتات الخضراء الحلوة، وفي هذا إشارة إلى عدم بقائه؛ لأنّ الخضراوات لا تبقى، ولا تُراد للبقاء؛ أي: شبهه في الرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذّة، فإنّ الأخضر مرغوب فيه، وفي اجتماع الخضرة مع الحلاوة تكون الرغبة أشد.

كما أنَّثَ (الخضرة) في قوله عليه السلام: «**هذا المال خضرة...**»؛ لأنّ المرادَ من المال الدنيا.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خَضِرة حلوة»، ح رقم (٦٤٤١).

■ **قوله ﷺ: «فمَنْ أخذه بطيب نفس بورِكَ له فيه، ومَنْ أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه».**

قال العلماء: إشراف النفس تطلُّعها إليه وتعرّضها له وطمعها فيه، وأما طيب النفس فهو قناعتها ورضاها، وهو عائد على الآخذ والمعطي، فمَنْ أخذه بغير سؤال ولا طمع، بورِك له فيه، ومَنْ أخذه من صاحبه بغير رضا النفس ولا قناعتها لم يبارك له فيه.

■ **قوله ﷺ: «كالذي يأكل ولا يشبع»:**

أي: كمَنْ به الجوع الكاذب، كلما ازداد أكلاً ازداد جوعاً، وقيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه، وقيل: يحتمل أنّ المراد التشبيه بالبهيمة الراعية، وضرب الرسول ﷺ المَثَل؛ لما لا يعقله السامع من الأمثلة؛ لأنّ الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير، فبيّن بالمثال المذكور أنّ البركة قد تكون في الشيء القليل، وضرب لهم المَثَل بما يعهدون، فالآكل إنّما يأكل ليشبع، فإذا أكل ولم يشبع كان في أكله عناءً بغير فائدة، وكذلك المال ليست الفائدة في عينه، وإنّما هي لما يتحصّل به من المنافع، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة، كان وجوده كعدمه.

■ **قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»:**

تعددت الآراء في تفسير اليد العليا واليد السفلى، والمعتمد قول الجمهور: أنَّ اليد العليا هي المُنفِقة، أو المُعطية، والسفلى هي السائلة، وفي رواية: «قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إنّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي[1].

ومعنى لا أرزأ: أي: لا أُنقِص مال أحد بالطلب منه، وإنّما امتنع حكيم من أخذ العطاء، وذلك من كرم أخلاقه؛ لما تعلّمه من النبي ﷺ في توجيهه له.

■ ما يستفاد من الحديث:

١ عدم الإلحاح في السؤال.

٢ الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات.

٣ الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسّر.

٤ العبرة بالبركة، وليس بكثرة المال.

٥ عدم جواز المسألة لغير المحتاج.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف من المسألة.

التقويم

١ أعرّف بالصحابي راوي الحديث الشريف .

٢ أبين معنى التراكيب الآتية :

إن هذا المال خَضِرة حلوة ، بإشراف نفس ، اليد العليا ، اليد السفلى ، بطيب نفس ، لا أرزأ .

٣ أوضح المراد من قوله ﷺ : «**وكان كالذي يأكل ولا يشبع**» .

٤ أذكر سبب امتناع أخذ حكيم العطاء مع أنّه حقه .

٥ أذكر خمس فوائد للحديث الشريف .

الدرس
٢٦

أهمية حفظ اللسان (شرح)

عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ رِضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يرفعُهُ اللهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلقي لها بالاً، يَهوي بها في جَهنَّم»[1].

شرح الحديث:

إنّ هذا الدين العظيم يربّي الأمّة لتكون قدوةً صالحةً للأمم الأُخرى، منها تتعلم، وبأخلاقها تقتدي، وإنّ ممّا يجعلها في موضع القيادة والرّيادة أن يكون كلامها محسوباً وموزوناً ومهذباً ومفيداً، وإنّ علماءنا العظام كانوا يعدّون كلامهم من أعمالهم، فقلَّ كلامُهم إلا فيما يُفيد.

ويُبين هذا الحديث الشريف أنّ كلام العباد سلاحٌ ذو حدّين يُحسَبُ للعبدِ أو عليه، وهذا يجعل المسلم يقِظاً في كل تصرّفاته وأفعاله، مستقيماً في سلوكه.

قوله ﷺ: «إنّ العبد ليتكلمُ بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً»:

يؤكد الرسول ﷺ في هذا المقطع من الحديث ما لكلمة الخير من أثر حَسنٍ على صاحبها وعلى الناس.

قولُه ﷺ: (العبد): لفظ يشمل الذكر والأنثى، فإنّ كلّ كلمةٍ يقولها الإنسان رجلاً كان أو امرأة، وكلّ فعلٍ ينتج عن القول سيحاسَب عليه؛ وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨.

وقوله ﷺ: (ليتكلم) يُقصد بالكلمة: جنس الكلام، فالإنسان يحاسب على الكلمة وعلى أكثر منها، والكلمة: هي اللفظة، وتطلق على الجملة المفيدة، أوعلى الكلام الكثير، بدليل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ المؤمنون: ١٠٠، مع أنّ المقصود بها أنّه قال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠، فكلامه هنا ليس كلمةً واحدةً فقط؛ وفي ذات السياق قول الرسول ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر . . . ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل**»، مع أنّه قال شطر بيت مستقلّ، إذن فالمقصود بالكلمة هنا: أقوال الإنسان، وإنّما نُصَّ على الكلمة للتنبيه على خطورة اللفظ وإنْ قلّ، فكيف إذا كانت الكلمة جملة أو مجموع جُمَل.

---

١ أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

■ **قوله ﷺ: (من رضوان الله)، وفي رواية: (من الخير):**

أي ممّا يرضى به الله عزّ وجلّ من تسبيحٍ وتهليل وذكرٍ لله، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وتعليم علم، وإصلاح ذات بين.

قوله ﷺ: (لا يُلقي لها بالاً)؛ أي: لا يلتفت إليها خاطره، ولا يعتدُّ أو يبالي بها، ومعنى البال هنا: القلب، حيث لا يظن القائل أنّها تبلغ ما بلغت من تأثيرها في الناس وإثمارها للخير، فيسمعها شخص فينتفع بها، وينفعُ بها الآخرين، وكلمة الخير يثاب عليها من أجل ثمرتها وتأثيرها في الناس، وقد يكون لكلمةٍ ثمرات عظيمة مع أنّ صاحبها لم يُلقِ لها بالاً، لكنّ الإخلاص لله الذي استحضره حين ألقاها جعل لها هذا الأثر غير المتوقع.

■ **قوله ﷺ: «يرفعه الله بها درجات»:**

وذلك في الدنيا؛ لجهره بالحقّ، ونشره الخير؛ مما يجعل له مقاماً رفيعاً في القلوب، ومكانة بين النّاس، وفي الآخرة بارتفاع درجته عند الله.

والكلمة التي يراد بها رضوان الله ووجهه هي التي تُدْخِلُ الجنة، خاصة إن قيلت بين أهل الباطل، أو هي الكلمة التي يدفع بها مَظلمة عن أخيه المسلم، أو يُفرِّج بها كُربةً من كُرَبِ الدنيا. وفي رواية: (ما يعلمُ مبلَغها)؛ أي: وما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها من رضوانه إلى يوم يلقاه.

■ **قوله ﷺ: «وانّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنّم».**

وهي الكلمة التي يكون فيها سخرية، كأن يسخر من الصالحين وأهل العلم، أو الكلمة التي لا يتبين ما فيها من أذى فتسبب الهلاك للآخرين أو لقائلها، كالتحريض في أيام الفتن، وكتحريض المرأة على زوجها، أو كلمة كفر وفجور، كالاستهزاء بآيات الله وكتبه ورسله.

فهذه الكلمات وما في وصفها تهوي بصاحبها في جهنم، فضلاً عن أثرها في قسوة القلب والحرمان من الخير؛ يقول مالك بن دينار: إذا رأيت قساوةً في قلبك، ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنّك تكلمت بما لا يعنيك.

وقال عمرو بن العاص: الكلام كالدواء إن أقللتَ منه نفع، وإن أكثرتَ منه قَتل.

وقال الشافعي: احفظ لسانك أيُّها الإنسانُ لا يلــدغنّــك إنّــه ثعبــانُ

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهابُ لقاءه الشجعانُ

ما يستفاد من الحديث:

١ التحذير من كثرة الكلام، فقد يتفوّه العبد بكلمة فيها هلاكه.

٢ الإكثار من ذكر الله وقول الخير، واستحضار النية الصالحة قبل القول والعمل.

٣ الحثّ على التدبّر والتفكّر عند الكلام، فالشيطان يزيّن الشرّ بصورة الخير.

التقويم

١ أكتب الحديث الشريف: «**إنّ العبد ليتكلم . . . . . الحديث**».

٢ أُبيّن معاني المفردات والتراكيب الآتية: العبد، الكلمة، لا يلقي لها بالاً، يهوي، سخط الله.

٣ أشرحُ قوله ﷺ: «**وإنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنّم**».

٤ أذكر ثلاثة أمورٍ يرشد إليها الحديث الشريف.

الدرس

٢٧

النذر (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيءٍ لمْ يكنْ قُدِّرَ له، ولكنْ يُلقيهِ النذرُ إلى القَدَرِ قدْ قُدّرَ لهُ، فيسْتَخْرِجُ اللهُ بهِ منَ البخيلِ فيؤتي عليهِ ما لمْ يكنْ يُؤتي عليهِ منْ قبل»[1].

الشرح:

في الحديث الشريف توجيه نبوي كريم للمسلم، وتصحيح لبعض المفاهيم التي قد تكون في ذهنه أو نفسه وذلك تجاه النذر تحديداً. فالرسول ﷺ يريد من المسلم أن يكون في عمله وبيئته متوجهاً إلى الله تعالى ابتغاء مرضاته وحباً فيه جلّ شأنه، لا لشيء آخر من متاع الدنيا وحطامها الزائل.

والله سبحانه هو الفعّال لما يريد، وهو المعطي والمانع، وهو الذي يبسط الرزق ويَقْدِرْ، وهو الذي يهب الحياة والصحة لا أحد سواه. كما أنّ على الإنسان أن يشكر الله سبحانه على نعمه وآلائه، فهو سبحانه صاحب الفضل. ويتوجب على هذا الإنسان الذي يتقلب في نِعَم الله ليل نهار وبصحة وعافية أن يتوجه بالاعتراف بالفضل لصاحب الفضل سبحانه، وألا يبخل بشيء في سبيله جلّ شأنه؛ إذ كل ما لدينا من نِعَم من الله وحده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل: ٥٣.

وممّا لا شك فيه أنّ الإنسان كلما شكر الله على نعمه زاده منها؛ قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧، أمّا إذا كفر الإنسان بنعم الله عليه، ولم يعرف للخالق سبيلاً إلى شُكرِها، فإنّ الله تعالى يسلبه حينئذٍ هذه النعم؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧.

من المفاهيم الخاطئة لدى الناس في شأن النذر:

من عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة، فيذهب الكثير منهم إلى إجراء نذر مشروط بتحقيق أمر ما، فيعلق أمر طاعة لله؛ كالصلاة أو الصوم أو الصدقة لقاء ما يحقق الله له ما يطلبه أو يتمناه؛ كأن يقول: نذرت أن أصوم لله أسبوعاً إن نجحت، أو نذرت أن أصلي عشرين ركعة إن تعافى ولدي، أو نذرت لأذبحَ شاة لوجه الله الكريم إن عاد ولدي سالماً من سفره، أو أيّة صيغة مماثلة، ظانّاً أنّ هذا النذر يحقق له ما يريد أو ما يتمنى ويطلب.

---

١ أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.

فالرسول ﷺ يصحح هذا المفهوم، ويبيِّنُ خطأه وعَوَارَه، وأنَّ النَّذر لا يحقق شيئاً سوى ما قدَّرهُ الله سبحانه للعبد وكتبه.

■ من مضامين الحديث الشريف:

في قوله ﷺ: «**لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيء لم يكن قُدِّر له، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قُدِّر له**» بيان واضح في أنّ النذر لا يجلب لابن آدم شيئاً من الخير، ولا يدفع عنه شيئاً من الضر، فما كان مكتوباً لابن آدم من خيرٍ أو شرٍ أتاه؛ قال الإمام النووي -رحمه الله تعالى-: إنّه (أي النذر) لا يردّ شيئاً من القدر كما بينته الروايات الأخرى، وإذا ما توافق النذر مع القدر، فإنّ ذلك لا يعني أنّ الذي جلب النفع أو دفع الضر هو النذر، ولكن ذلك من مجريات الأقدار، فعلى ابن آدم أن يفهم القضاء والقدر، وأن يؤمن بهما وفق ما بينته الآيات الكريمة والأحاديث والسنة الصحيحة، وهذا الأمر منها.

قوله ﷺ: «**فيستخرج الله به من البخيل فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل...**»؛ أي: إذا وافق النذر القدر فإنّما يكون في ذلك استخراجٌ للخير من إنسان بخيل وفق مشيئة الله سبحانه، فالله جلّ وعلا قدر ذلك، وكان هذا سبباً لاستخراج هذا الخير من ذلك الإنسان البخيل الذي اشترط على الله سبحانه، وعلق فعل هذا الخير على تحقُّق حصول الشرط. وتعظيم المسلم لربه سبحانه يقتضي ألا يشترط على الله شيئاً، بل يبادر بالعبادة والطاعة دون شرط، بل ورد نهي عن النذر فقد جاء في صحيح البخاري في بعض روايات الحديث «عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «أو لم يُنْهَوْا عن النذر؟ إنّ النبي ﷺ قال: «**إنّ النذر لا يُقَدِّم شيئاً ولا يُؤخرّ، وإنّما يستخرج من البخيل**»[1]، من هنا ذهب الكثير من الفقهاء إلى أنّ النذر مكروه.

والذي هو أفضل من النذر الشكر لله والعطاء لوجهه؛ فإذا ما حصل نفع للإنسان أو دُفِعَ عنه ضر فيلزمه شكر الله سبحانه، والقيام بأعمال صالحة من صلاة أو صيام، أو صدقة لوجه الله الكريم، دون شروط مسبقة على الله تعالى.

■ حكم الوفاء بالنذر:

أجمع المسلمون على صحة النذر ووجوب الوفاء به إذا كان النذر في طاعة، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ الحج: ٢٩، **وهناك أدلة من السنة، منها:**

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.

ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس ﵄ أنّ سعدَ بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ في نذرٍ كان على أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله ﷺ: «**فاقضه عنها**»[1]. أمّا إذا كان النذر في معصية أو في مباحٍ لم ينعقد ولا كفارة عليه. والدليل قوله ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد**»[2].

ما يستفاد من الحديث:

١ مبادرة المسلم للخير أفضل من النذر المشروط.

٢ كل شيء يبدؤه المكلف من وجوه البر أفضل ممّا يلتزمه بالنذر.

٣ الحث على الإخلاص في عمل الخير لوجه الله الكريم.

٤ ذم البخل والشح.

٥ النذر لا يردّ شيئاً من القضاء، ولا يجلب نفعاً للانسان.

التقويم

١ ما حكم الوفاء بالنذر؟

٢ أشرح النص: «**فيستخرج الله به من البخيل**».

٣ أناقش العبارة الآتية: النذر لا يجلب المنافع ولا يدرأ المفاسد.

٤ أعلل ما يأتي:

أ ربط المسلم بربه دون شيء آخر.

ب كفر النِّعَم مذموم ومحرم.

٥ أستنبط ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث الشريف.

١ أخرجه مسلم في كتاب النذر، باب الأمر بقضاء النذر، ج رقم ١٦٣٨.

٢ أخرجه مسلم في كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، ج رقم ١٦٤١.

الدرس
٢٨

حرمة تشبُّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (شرح)

عن ابن عباسٍ ﷺ قال: **لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ المتشبهينَ مِنَ الرجالِ بالنساءِ، والمتشبهاتُ منَ النساءِ بالرجالِ»**[1].

راوي الحديث:

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد في الشِّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمَّى البحر، والحَبْر؛ لكثرة علمه، قال عنه عبد الله بن مسعود: «نِعْمَ تُرجمان القرآن عبد الله بن عباس»، وهو أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة، مات سنة ثمانٍ وستين بالطائف، ولمّا دُفن قال ابن الحنفية: «اليوم مات ربانيُّ هذه الأمة»، مناقبه وفضائله كثيرة جداً، روى له الجماعة.

شرح الحديث:

اهتم الإسلام بتربية المسلم تربية صحيحة، وبتكوين شخصيته تكويناً سليماً، فطهّر قلبه من الشرك بالتوحيد، وحافظ على مظهره الخارجي بلباس يستر عورته ويزين شكله، فجعل للرجل لباساً خاصاً وللمراة لباساً خاصاً.

التشبُّه المحظور:

في قوله ﷺ: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين**» دلالة ظاهرة على تحريم تشبُّه الرجال بالنساء أو النساء بالرجال، والقرينة الدالّة على ذلك استخدام صيغة (لعن) التي تحمل معنى الطرد من رحمة الله تعالى.

وعليه لا يحل تشبه أحد الجنسين بالآخر سواء في اللباس أو الزينة او تعمد التشبه بما اختص به جنس دون آخر في الكلام والحركة.

ويؤكد هذا المعنى ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: «**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**»[2].

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمشتبهات بالرجال.
٢ في سننه: كتاب اللباس، باب في لباس النساء.

ويستثنى من التحريم ما كان من أصل الخلقة، كأن يكون صوت الرجل ناعماً بأصل خلقته، أو غير ذلك مما يتعلق بالحركة والمشي، مع ضرورة التدرب على التخلص من هذه الصفات.

وظاهر اللفظ الزجرُ عن التشبُّه في كل شيء، لكن عُرف من الأدلة الأخرى أنّ المراد التشبُّه في الزي وبعض الصفات والحركات ونحوها، لا التشبُّه في أمور الخير وطلب العلوم والسلوك وغير ذلك مما فيه نفع ومصلحة معتبرة.

ومن صور التشبُّه الممنوع ما نراه اليوم بين الشباب والفتيات؛ كوضع بعض الشباب للحلق في آذانهم، والعقود والسلاسل في أعناقهم، والإسورة في أيديهم، وكذلك قصات الشعر لبعض الفتيات بما يشبه قصات الشباب حتى لا نكاد -أحياناً- أن نميز بين الشاب والفتاة.

■ الحكمة في لعن مَنْ تشبّه:

الحكمة في لعن مَنْ تشبّه أنّه قد خرج عن الصفة التي خلقه الله عليها، كما في **قوله** ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»[1]، وعلل ذلك بتغيير خلق الله؛ لذلك نجد أنّ الشيطان عندما تحدى الله تعالى قال: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ النساء: ١١٩، فالله تعالى قد خلق الخلق على هيئة معينة فلا يجوز لأحدٍ أن يعبث بهذا الخلق ويتجرأ على تغييره.

■ هل التوبة رافعة لِـمَنْ لحقه اللعن؟

إن في توبة الله تعالى على عباده مظهر من مظاهر رحمته الواسعة، وفضله العظيم، وبذلك فإن على من استحق اللعن من الرجال أو النساء بسبب التشبُّه المنهي عنه في الحديث الشريف، أن يتوجه إلى الله تعالى بطلب المغفرة والعفو وأن يطرق بابه بتوبة صادقة، والباب في ذلك أمامه مفتوح.

ولا بد للتوبة أن تكون نصوحاً، وأن تتوافر شروطها كما سبق أن عرفت في درس (التوبة)؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ النساء: ٤٨. ولعنُ المتشبِّه هنا من جملة ما دون الشرك، فهو تحت المشيئه.

■ تنبيه وتوجيه:

لا بد من التنبيه على أنّ انتشار هذه الظاهرة دليل على الفراغ الذي يعيشه الشباب، ودليل على الانحدار في اهتمامات الجيل وأهدافه وطموحاته، فالأصل أن يوجه الشباب إلى العلم والمعرفة والبحث، والعمل

---

١ أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ومسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، ح رقم ٢١٢٤.

على نهضة الأمة وعزتها وتفوقها، فكيف يستغني عن ذلك ليتحول الاهتمام إلى الانشغال بتوافهِ الأمور من قصات الشعر ووضع الحَلَق في الأذن والأنف، أو طريقة اللباس الغربية، وانتشار الميوعة والتخنث؛ مما يعطل قدرة الأمة على النهوض، فمثل هذا الشباب ليس مهيّأً لبناء أمة، ولا لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة.

هذا فضلاً عن أنّه يلزم كل فرد في المجتمع المسلم أن يتأدّب مع الباري عزّ وجلّ بعدم مخالفة أمر رسوله ﷺ، والاجتهاد في عدم فعل ما يوجب اللعن. وعلى ولي الأمر والعلماء أن يراقبوا ذلك، وينبهوا على عدم التلبس به، وفرض العقوبة المناسبة على مَنْ يخالف حفاظاً على شكل الفرد وهيئته في المجتمع.

ما يستفاد من الحديث:

١ تشبُّه الرجال بالنساء وتشبُّه النساء بالرجال من الأمور المحرمة ومن الكبائر.

٢ في تشبُّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال تغيير لصفة خلق الله تعالى، ومن فعل ذلك فقد نازع الباري في حكمته، وهذا أمر خطير.

٣ اقتران النهي عن فعل باللعن يدل على خطورة هذا الفعل.

٤ الانشغال بمعالي الأمور يصرف الشباب عن الاهتمام بالشكليات الزائفة والمظاهر الخداعة.

التقويم

١ أترجم للصحابي راوي الحديث الشريف.

٢ أوضح معنى اللعن الصادر عن الرسول ﷺ.

٣ أبين المراد من قوله ﷺ: «المتشبهين من الرجال بالنساء، ومن النساء بالرجال».

٤ أعلل: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات بالرجال من النساء.

٥ كيف يؤدي ولي الأمر دوره في محاربة التشبُّه المنهي عنه؟

٦ أذكر أربع فوائد مستفادة من الحديث.

الدرس
٢٩

فضل الرباط في سبيل الله (شرح)

عن سهل بن سعدٍ الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**رباطُ يوم في سبيلِ اللهِ خيرٌ مِنَ الدنيا وما عليها، وموضعُ سَوطِ أحدِكُم منَ الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرّوحةُ يَروحها العبدُ في سبيلِ اللهِ أو الغَدوةُ خيرٌ مِنَ الدنيا وما عليها**»[1].

راوي الحديث:

سهل بن سعد الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة، ولد قبل الهجرة بخمس سنين، كان اسمه حزْناً، فسماه النبي ﷺ سهلاً، مات بالمدينة المنورة، وقد زاد عمره عن المائة سنة.

شرح الحديث:

فضل الرباط في سبيل الله:

الرباط: هو المكث والبقاء على الحدود بنيّة الدفاع عن البلاد والعباد، وأصل كلمة الرباط جاءت من ربط الجنود خيلهم ومكوثهم للحراسة.

ومن هنا أُطلق على مدينة الرباط هذا الاسم؛ لكونها كانت محطة لانطلاق الجيش للجهاد في سبيل الله.

قوله ﷺ: «رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها»:

ينبه النبي ﷺ إلى قيمة عظيمة من قِيَم الإسلام، وهي الحفاظ على البلاد والعباد، وحمايتهم من كل خطر يتهددهم، وعبَّر عن ذلك بمصطلح شرعي يسمى (الرباط) الذي يُعبِّر عن انتماء المسلم إلى مجتمعه وأمته، وعن استعداده للتضحية بروحه من أجل حمايتهم والدفاع عنهم، والمسلم يتفوق على غيره في حبه لوطنه؛ لأنّه لا ينطلق في ذلك من مجرد الشعور الوطني أو حبّ المكان الذي ترعرع فيه وحنينه إليه، بل يضيف إلى ذلك المفهوم العَقَدي، فحب الوطن من الإيمان، وبالتالي فالدفاع عنه واجبٌ شرعيٌ يؤجر

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

عليه، ويجزى عليه خير الجزاء، وإذا قصّر في ذلك فهو محاسب على تقصيره حساباً عسيراً، ولذلك نجد في الحديث الأجر العظيم لَمَنْ قام بهذا الجهد في الدفاع عن بلده، فذكر أنّ القيام بواجب الحراسة والحماية على حدود الوطن ليوم واحدٍ خيرٌ من الدنيا وما عليها؛ أي: ما عليها من مُتَعٍ ونِعَمٍ، تشمل المال والولد والزوج والسعادة... إلخ.

وقد ورد في بعض الروايات تنويعٌ لأجر المرابط، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «**رباط يوم أو ليلة خير من صيام شهر وقيامه**»[1]، وفي حديث آخر: «**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل**»[2]، وهاتان الروايتان كلتاهما تفيدان الأجر العظيم للمرابط، وأنّ الأجر يتفاوت حسب نية المرابط والجهد الذي يبذله والتضحيات التي يقدمها.

والرباط لا يقتصر على مجرد الحراسة على الثغور والحدود، وإنّما يمتدّ ليشمل كل شكل من أشكال الحفاظ على الأمة والمجتمع، فمجرد ثبات المسلم على أرضه، وعدم هروبه من الضغوط التي تستهدف اقتلاعه وتهجيره من أرضه، كما يحدث على أرض فلسطين في هذه الأيام، فهو رباط وثبات وجهاد في سبيل الله.

■ الجنة ونعيمها:

قوله ﷺ: «**وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها**»: السوط: هو الأداة التي تُضرب بها الدابة، وغالباً ما تُصنع من الجلد.

وفي استخدام لفظ (سوط) في الحديث تقريب ذهني يسوق المرء إلى إدراك عظيم نعمةِ الله وفضله على المجاهد، فإذا كان موضع السوط الذي يَضرِبُ به دابته، وهو يسوقها إلى ساح الجهاد، خير من الدنيا وما فيها، فإن نعم الله التي أعدّ لعباده المجاهدين أعظم من أن تدرك على حقيقتها.

بل إنّ النعيم الموجود في الجنة لا يمكن لقدرات البشر في التخيل أن تقترب منه؛ مصداقاً لقول النبي ﷺ: «**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[3].

والحديث هنا يأتي من باب الترغيب في الجنة، والحث على العمل والاجتهاد، والتعرض لرحمة الله تعالى، حتى يحظى المسلم بشرف الدخول فيها.

---

١ أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، وهو: حديث صحيح.

٢ أخرجه النسائي في سننه: كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، ورواه الترمذي في سننه، وقال: حسن غريب.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنّها مخلوقة.

■ **قوله ﷺ: «والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»:**

والروحة: هي المرة الواحدة من الرواح، وهي الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها.

والغدوة: هي المرة الواحدة من الغُدُوّ، وهي الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه.

وفي هذا الشطر من الحديث تأكيد على فضل الجهاد في سبيل الله، فمجرد الخروج في هذا السبيل في أي وقت كان، صباحاً أو مساءً، تعدل عند الله تعالى الدنيا بما عليها، فكيف يكون حال المجاهد في سبيل الله لمدة أطول، قد تستمر لأيام وشهورٍ أو سنين أو العمر كله، والحديث يتكلم عن مجرد الخروج في سبيل الله بأنّه يعدل الدنيا وما عليها، فكيف بمَنْ يقدّم ماله أو نفسه أو يقدمهما معاً. قال ﷺ: «**ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**»[1].

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: فإذا كان مجرد مسّ الغبار للقدم يُحرِّمُ عليها النار، فكيف بمَنْ سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه؟

ومنها قوله ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكت من خشية الله تعالى، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[2].

■ ما يستفاد من الحديث:

١ فضل الحراسة في سبيل الله تعالى حفاظاً على العباد والبلاد.

٢ الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى للمرابطين والمجاهدين في سبيل الله.

٣ أقل القليل في الجنة خير ممّا وُجِد على وجه الأرض.

٤ حث المسلمين للخروج في سبيل الله تعالى جهاداً لإعلاء كلمته سبحانه.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب مَن اغبرّت قدماه في سبيل الله.

٢ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، قال الألباني: صحيح.

التقويم

١ أترجم لراوي الحديث الشريف سهل بن سعد الساعدي .

٢ أعرف المصطلحات الآتية : الرباط ، الغدوة ، الروحة ، السوط .

٣ المسلم يتفوق على غيره في حبه لوطنه ، أبين ذلك .

٤ أشرح قوله ﷺ : «**الروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**» .

٥ أذكر شكلاً أخر من أشكال الرباط سوى ما ذُكر من الحراسة على الحدود .

٦ أعلل ما يأتي :

أ ورود أكثر من رواية تبين تنوع أجر المرابط في سبيل الله تعالى .

ب التعبير بالسوط عن المقارنة بين الجنة والدنيا .

الدرس
٣٠

فضل الجهاد في سبيل الله (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَثَلُ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ -واللهُ أعلمُ بمنْ يجاهدُ في سبيلِهِ- كَمَثَلِ الصائمِ القائمِ، وتوكَّلَ اللهُ للمجاهدِ في سبيلِهِ بأنْ يتوفاهُ أن يُدخِلَهُ الجنة، أو يُرجعَه سالماً مع أجرٍ أو غنيمةٍ»[1].

شرح الحديث:

الجهاد ذروة سنام الإسلام:

الجهاد من أفضل القربات التي تقرِّبُ المسلمَ من ربه، بل هو ذروة سنام الإسلام؛ لأنّ فيه إعلاءً لكلمة الحق والدين، ونشر للعدل والرحمة بين العالمين، بل هو من الوسائل العظيمة لتحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، فالرسول ﷺ رحمة للعالمين، وشريعته هي شريعة الرحمة، ولا بد من حمل هذه الرحمة لتصل إلى أنحاء الدنيا؛ لينعم بها البشر، ويسعد بها الخلق.

والمجاهد في سبيل الله له منزلة عالية؛ لأنّه من أكثر الناس تضحية، فإذا كان الإنسان يضحي بجزء من ماله أو وقته في سبيل ربه، فالمجاهد يقدم روحه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، ويضحي بحياته ودنياه من أجل نصرة الدين، وربما يضم إلى ذلك إنفاقا للمال ومشاركةً في حملات الجهاد، فيكون ممّن ضحى بنفسه وماله في سبيل الله، كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الصف: ١٠ - ١٢.

قوله ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله»:

هذا ضرب للمثل، وهو أسلوب معروف، وشكل من أشكال البلاغة، يتّبعه النبي ﷺ لتقريب الصورة إلى ذهن السامع، فبدل أن يقول النبي ﷺ: إنّ أجر المجاهد كبيرٌ جداً، أو أنّ له أجراً مذخوراً في علم الغيب، أراد أن يقرب الصورة بالكلام عن شيء محسوس، له قيمة واعتبار عند الناس، فالصيام المتواصل والقيام المتواصل من العبادات الثقيلة جداً على نفس الإنسان، والقائم بها متقدم على غيره في الإيمان والتقوى.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسّير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه.

قوله ﷺ: «**والله أعلم بمَنْ يجاهد في سبيله**» تأكيد على ضرورة الإخلاص في العمل؛ لأنّ الله مطلع على نوايا العباد، حيث يعلم المخلص في جهاده وغير المخلص، وهذا من دقائق الأمور، إذ إنّ الظاهر للناس أنّ كل مَنْ يقاتل العدو هو مجاهد في سبيل الله، مع أنّ الحقيقة أنّ الناس مختلفون في دوافعهم ونواياهم، كما ورد في الحديث الصحيح أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يُقاتِلُ للمَغنم، والرجلُ يقاتِلُ للذِّكر، والرجلُ يقاتلُ ليُرى مكانُهُ، فمَنْ في سبيل الله؟ قال: «**مَنْ قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا، فهو في سبيل الله**»[1].

فالجهاد المقصود في الحديث، والذي شبَّههُ النبي ﷺ بالصائم والقائم، هو الجهاد الخالص لوجه الله تعالى، الخالي من أي غرض دنيوي.

■ **قوله ﷺ: «كمثل الصائم القائم»:**

أي مثل المجاهد في نيل الثواب في كل حركة وسكون كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر ساعة عن العبادة، فأجره مستمر لا ينقطع. وقد ورد تفصيل ذلك في رواية أخرى: «**كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يَفْتُرُ من صلاة ولا صيام**»[2].

■ **للمجاهد إحدى الحسنيين:**

من فضل الله تعالى على المجاهدين أنَّه تكفَّل لهم بإحدى الحسنيين، إن قُتلوا في الجهاد فلهم الجنة؛ (أي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، أو أن يُدخلهم الجنة ساعة الاستشهاد)، وبهذا يتميز الشهيد عن غيره من المؤمنين، فقد جاء في الحديث الشريف أنّ الشهيد «**يُغفر له في أول دفقة**»[3].

وإن أبقاهم أحياء فلهم الأجرُ العظيمُ والثوابُ الكبيرُ أو لهم الغنيمة والأجر معاً، كما نص على ذلك في الحديث: «**وتوكَّلَ اللهُ للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه -بمعنى إن توفاه- أن يُدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة**».

■ **حقيقة الجهاد في الإسلام:**

كثيراً ما نسمع هذا التساؤل من بعض الناس: **هل الجهاد في الإسلام جهاد دفع، أم جهاد هجوم؟**

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد من التوضيح أنّ الجهاد في سبيل الله إنّما هو وسيلة لا غاية، فليس من

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسّير، باب مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم(٤٨٤٦).

٣ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد.

أهداف الإسلام إراقة الدماء وإزهاق الأرواح، ولا تيتيم الأطفال ولا ترميل النساء، بل إنّ القتال من الأمور التي تنفر منها النفس السوية؛ كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ البقرة: ٢١٦، فالجهاد وسيلة من الوسائل التي تهدف إلى نشر الحق والعدل على وجه الأرض، وبسط الرحمة الربانية لينعم بها الوجود، ولذلك دعا الإسلام إلى تحقيق هذا الهدف بكل الطرق الممكنة بعيداً عن إراقة الدماء وخوض المعارك، فكانت الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان السلوك الأخلاقي العظيم لأتباع الإسلام الذي خلب عقول الأمم الأخرى، فدخلت في دين الله أفواجاً إعجاباً بهذا الدين العظيم، بل إنّ التاريخ يسجل أنّ شعوباً بأكملها دخلت في الإسلام دون أن يُرفع سيفٌ أو تُراقَ قطرةُ دم، كما هو الحال في (جنوب شرق آسيا)؛ كماليزيا وإندونيسيا -وهي أكبر دولة إسلامية اليوم- وجزر المالديف وجنوب الفلبين وغيرها، ولا بد من الإشارة إلى أنّ الإسلام لا يقبل فكرة إجبار الناس على تغيير معتقداتهم بالقوة والإكراه، ولا يقبل إسلام شخص مكرهٍ خائفٍ؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ البقرة: ٢٥٦.

وقال سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ الكهف: ٢٩، فالناس مخيَّرون في اعتناق الدين الذي يريدون، وليس علينا إجبارهم على شيء، وحسابهم على الله سبحانه وتعالى.

وبناءً على ما تقدم، فالجهاد في سبيل الله جهادُ دفاعٍ وردّ على المعتدي إذا تعرضت أرض المسلمين أو عقيدتهم، أو أرواحهم أو أموالهم أو أعراضهم لأي اعتداء، فالمسلم لا يقبل الظلم، ولا يخنع أمام المعتدي، بل يقاوم ويجاهد حتى يحرر أرضه، ويقتصّ ممّن أساء إليه في أي جانب من شؤونه، وهذا ما يتوافق مع المواثيق الدولية التي تتيح للمظلوم أن يدافع عن نفسه.

وهو جهاد هجوم في سبيل نشر العدل والحق وتخليص المظلومين على وجه الأرض من الظلم الذي وقع عليهم، لكنّ هذا النوع من الجهاد لا يُوَجَّهُ إلى الأفراد ولا إلى المجتمعات، وإنّما يستهدف كل الحواجز والمعيقات التي تقف أمام الناس وتمنعهم من الاختيار بحرية، واعتناق العقيدة التي يريدونها.

وخير شاهد على ذلك أنّ الفتوحات الإسلامية لم تكن موجهة إلى المدنيين، ولم تجبر الناس على تغيير دينهم وعقيدتهم، بل إنّ الواقع اليوم يثبت وجود كثير من أتباع الأديان الأخرى يعيشون بين المسلمين بكل احترام ومراعاة لحقوقهم؛ فالنصارى واليهود تكاد لا تخلو منهم بلدٌ من بلدان المسلمين حتى يومنا هذا.

بل إنّ التاريخ يسجل أيضاً أنّ كثيراً من الشعوب وقفت مع الفاتحين المسلمين وساندتهم في جهادهم ضد الدول التي كانت تستعمرهم وتظلمهم، كما فعل أقباط مصر عندما ساندوا حملة عمرو بن العاص الذي خلصهم من الدولة الرومانية المستعمرة، ثم خيَّرهم المسلمون بين البقاء على دينهم أو الانضمام إلى هذا الدين العظيم. وهذا ما حدث أيضاً مع نصارى الشام في مساندتهم لأبي عبيدة عامر بن الجراح.

ما يستفاد من الحديث:

١ فضل الجهاد في سبيل الله تعالى .

٢ أجر المجاهد في سبيل الله كأجر الصائم القائم الذي لا يفتُر .

٣ ضرورة الإخلاص في العمل ؛ ليكون خالصاً لوجه الله تعالى .

٤ لا يقبل الله تعالى عملاً ليس فيه إخلاص .

٥ ضَمِنَ الله للمجاهدين إحدى الحسنيين ؛ إمّا الشهادة ، وإمّا الأجر والغنيمة .

التقويم

١ كيف يكون الجهاد تجارة رابحة في سبيل الله تعالى؟

٢ أبين الهدف من ضرب المَثَل في الحديث الشريف .

٣ أوضح وجه الشبه بين المجاهد وبين الصائم القائم؟

٤ أذكر ثلاثاً ممّا يستفاد من الحديث الشريف؟

٥ أعلل ما يأتي :

أ الجهاد في الإسلام وسيلة لا غاية .

ب الجهاد لا يستهدف الأفراد والشعوب .

جـ الإخلاص ضروري في الجهاد .

الدرس
٣١

أهمية الوصية (شرح)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما حقُ امرئٍ مسلمٍ لهُ شيءٌ يوصي فيهِ يبيتُ ليلتينِ إلا ووصيُته مكتوبةٌ عندَهُ»[1].

الشرح

المجتمعات بين حفظ الحقوق وتضييعها:

يأتي هذا الحديث الشريف في سياق المحافظة على النسيج الاجتماعي، والمحافظة على الحقوق والواجبات؛ فلا يجوز للإنسان أن يجعل حقوق العباد في مهب الريح، وعليه أن يخرج ويتحلل من كل حق ليس له، أو من كل شيء في ذمته للآخرين. من هنا جاء الحث على الوصية والندب إليها؛ لأنّها وسيلة مهمة في مجال توثيق الحقوق لأصحابها خشية الضياع أو الالتباس أو النسيان.

وهذا دأب الشرع الحنيف في المحافظة على اللُّحمة المجتمعية ورصّ صفوف الجماهير وفق معايير الحق والعدل والمساواة، فإذا ما حافظ الناس بعضُهم على حق بعض، سرعان ما يؤدي ذلك إلى نشر المحبة بين الناس وبث روح التعاون بين أفراد المجتمع؛ وذلك مدعاة إلى الألفة وإخلاص الناس بعضهم لبعض، وتطهير النفوس من البغض والحقد.

وبخلاف ذلك فإنَّ تضييع حقوق الناس يفسد الذمم، ويغيِّبُ العدالة، وينشر الحقد والضغينة، ويبث روح العداوة بين الناس، فيكون المجتمع حينئذ في مهب الريح ويضحي حاله أسوأ حال، وفي ذلك ضعفه وهلاكه.

من مضامين الحديث الشريف:

في قوله ﷺ: «ما حق امرئ»: المرء هنا هو الرجل، وخرج ذلك مخرج الغالب، حيث إنّ الرجل هو صاحب العلاقات الكبيرة في المجتمع، وهو الذي يُبرم العقود، ويأخذ الدَّين، ويداينُ غيره، وهو المتصرف بشؤون الأسرة والمتكلف بالإنفاق عليها، ولذلك كان ذكر الرجل على وجه التغليب، وإلا فلا فرق من الناحية الشرعية في الوصية الصحيحة ما بين الرجل والمرأة، ولا يشترط فيها شيء سوى العقل

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده».

والحرية؛ بمعنى وصية الرجل إن كانت ضمن الضوابط الشرعية نافذة، وكذلك وصية المرأة، حتى إنّ وصية الصبي المميز قد ذهب الكثير من العلماء إلى إجازتها.

وقوله ﷺ: «مسلم»: خرج أيضاً مخرج الغالب، أو ذُكر للحث والتشجيع على الوصية؛ ولكونه يمتثل أكثر من غيره.

وإلا فقد انعقد الإجماع على جواز وصية الكافر في الجملة ما دامت في سياق الحق والمعقول.

قوله ﷺ: «له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»:

وفي رواية أخرى: (له مال) غير أنّ لفظة (شيء) أعم من لفظة (مال)؛ فلفظة (شيء) تعم وتطلق على الكثير والقليل، وعلى ما هو مال وعلى ما هو ليس بمال، بمعنى أنّ مَنْ لديه مال على صورة نقد أو ذهب أو فضة، أو شيء يُقَوَّمُ بمال، لا يحق له أن يبيت دون وصية.

وفي تقدير معنى قوله ﷺ: «يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة» قولان:

- **القول الأول:** يبيت ليلتين، وفي رواية: (أو ثلاثة) ليالٍ وهو سالمٌ آمنٌ معافى.
- **القول الثاني:** يبيت ليلتين موعوكاً أو مريضاً.

ويرجح في المعنى القول الأول؛ لأنّ الوصية على هذه الصورة تستحب للجميع وليس للمريض فقط، فقد يموت الإنسان دونما مرض، وقد قال الشاعر:

كم من صحيحٍ مات من غير علةٍ وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهرِ

فلا يصح لمسلم أن يبيت ليلتين أو ثلاث ليالٍ دون أن تكون وصيته مكتوبة عنده، وذكر الليلتين أو الثلاث هنا؛ لأنّ المراد منه تقريب المدة لا تحديدها، وفي هذا إفساح المجال للإنسان حتى يتفكر ويتذكر ما يريد أن يوصي به ويكتبه. كما وفيه رفع الحرج عن الإنسان، فالشارع أعطاه مهلة يستطيع من خلالها أن يوصي ويكتب ما يريده ويحتاج إليه، ولكن لا يصح أن تزيد عن المدة التي منحها الشارع له. ومن المهم جداً قوله هنا: إنّ الوصية من باب أولى أن تكون لرَجُلٍ لديه وفي ذمته حقوق للآخرين، فيوصي بها ويدوّنها خشية أن تضيع، وبالتالي سيسأل عن ذلك، وسيحاسبه رب العزة سبحانه؛ إذ التوبة تكفر كل شيء إلا حقوق العباد فلا تُكفَّر ولا تُغْفَر حتى بالشهادة.

حكم الوصية:

استدل بعض العلماء بهذا الحديث مع ظاهر قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١٨٠، على أنّ الوصية واجبة. وقال آخرون: إنّها مندوبة، وقالوا: بأنّ المراد من قوله ﷺ: «**ما حق امرئ**» الحزم والاحتياط؛ لأنّ الموت قد يفاجئ المرء ولم يكن قد أوصى بشيء.

ما يستفاد من الحديث الشريف:

١ الحث على الوصية وكتابتها مظهر من مظاهر المحافظة على حقوق العباد.

٢ ينبغي ضبط الأمور والأشياء المهمة بالكتابة والتقييد.

٣ الوصية مشروعة للصحيح والمريض على السواء.

٤ الوصية في حق المسلم آكد منها في حق مَنْ سواه.

التقويم

١ أبين أهمية الوصية في حفظ الحقوق.

٢ أعلل ما يأتي:

أ يترتب على حفظ الحقوق تماسكُ المجتمع، ونشر المحبة بين الناس.

ب ذِكْر الرجل في الحديث دون المرأة.

٣ أشرح من النص قوله ﷺ: «**له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين**».

٤ ما حكم الوصية؟

٥ أذكر ثلاثة أمور تستفاد من الحديث الشريف.

الدرس
٣٢

مكارم الأخلاق (١) (شرح)

عن البراء بن عازبٍ ﷺ قال: «أمَرَنا النَّبيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، ونهانا عنْ سَبْعٍ: أمَرَنا بعيادَةِ المريضِ، واتباعِ الجنازةِ، وتشميتِ العاطِسِ، وإجابةِ الدّاعي، وإفشاءِ السّلامِ، ونصرِ المظلومِ، وإبرارِ المُقسِمِ. ونهانا عن خواتيمِ الذهبِ، وعن الشربِ في الفضةِ -أو قال: في آنيةِ الفضةِ-، وعن المياثرِ، والقسّيِ، وعن لُبسِ الحريرِ، والدّيباجِ، والإستَبرَقِ»[1].

راوي الحديث:

البراءُ بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاريّ، أبو عمارة، الصحابيّ ابن الصحابيّ ﷺ، نزل الكوفة ومات بها، استصغره النبيّ ﷺ يوم بدر، وأوّل مشاهده أُحد، شهد معركة الجمل وصفّين مع عليّ ﷺ، توفي سنة إحدى وسبعين للهجرة.

الشرح:

جاء هذا الحديث كغيره من الأحاديث الشريفة في بناء جانبٍ مهم في جسد هذه الأمة الشريفة ألا وهو جانب مكارم الأخلاق؛ ليكون بناء أُمّتنا عظيماً في الجوانب المعنويّة؛ كعظمته وشموخه في الجوانب المادّية. وقد أمر الحديث بسبعٍ ونهى عن سبعٍ، وسيقتصر الحديث في هذا الدرس على ما أمر به ﷺ، على أن يكتمل الحديث عما نهى عنه في الدرس اللاحق.

وفيما يأتي بيان لأخلاقٍ حميدةٍ وجهنا إليها الحديث الشريف:

أولاً: عيادة المريض:

أي: زيارته، وهو سُنَّة بِالإِجْماعِ، عرفنا المريض أم لم نَعْرِفهُ، في البيت أو المشفى أو دور الرّعاية، أوغير ذلك.

وقد مارس الرسول ﷺ ذلك بنفسه؛ لما للزيارة من أثر إيجابيّ عظيم في نفس المريض، ففي ذلك رفع

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، باب آنية الفضة.

لمعنوياته وسرعة تَعافيه، حيث يشعر من خلال الزيارة أنّ له مكانةً عند إخوانه وجيرانه، فيُثمر هذا العمل الطّيب في نفس المريض محبّة عظيمة لزائره، والتآلف والتحابّ هو مقصد الدين وغايته.

■ ثانياً: اتِّباع الجنائز:

وهذا هو الخُلق العظيم الثاني الذي يترجم وفاء المسلم للمسلم حتى بعد مفارقة روحه للجسد، حيث يبقى الوفاء وحُسن العهد، والمشي خلف الجنائز في التشييع لتوديع الموتى إلى الدار الآخرة مع الدعاء لهم سنّة، سواء عرفنا الميت أم لم نعرفه، فالمشي في الجنازة فيه قضاء لحقّ الميّت من حمله والصلاة عليه ودفنه، وفيه قضاءُ لحقّ أهله في مساعدتهم على تشييعه، وتطييب قلوبهم وتعزيتهم، والاعتبار بالحال الذي صار إليه الميت والذي سنصير إليه حتماً.

وقد ابتدأ الحديثُ (مكارم الأخلاق) بالمواساة في المرض والموت؛ لأنّها الأشد على الإنسان والأكثر تأثيراً في وقعها عليه، ولا ينسى أبداً مَنْ وَقَفَ إلى جانبه فيها.

■ ثالثاً: تشميت العاطس:

العطس: هو اندفاع الهواء بقوّة من الأنف مع صوتٍ قويٍّ؛ بسبب تهيُّج في الغشاء الداخلي للأنف. والعطاس من الرحمن؛ لما ورد عنه ﷺ: «**إنّ الله يحبّ العطاس، ويكره التثاؤب**»[1]، فالعطاس مفيد للجسم؛ لأنّه ناشئٌ من خفّة البدن حيث يستدعي النشاط للعبادة، أمّا التثاؤب فعلامةٌ على الكسل والنُّعاس وامتلاء البطن وثقله؛ وقد يكون من كثرة الأكل والتخليط فيه، ويؤدّي إلى الكسل عن العبادة.

وأَمّا تَشْميت العاطِس فَهو أَنْ يَقول لَهُ: يَرْحَمك الله، وهذا دعاء له بالخير والرّحمة، فكأنه دعا للعاطس بالثبات على الطاعة والبركة والرحمة، وتَشميت العاطِس سُنَّة على الكفاية إِذا فَعَلَه بَعْض الحاضِرينَ فإنه يجزيء عن الباقين. وصورته: أن يعطس الشخص فيقول: الحَمْدُ للهِ، فنقول له: يرحمك الله، فيردّ: «**يغفر الله لنا ولكم، ويرحمنا وإيّاكم**»[2]؛ لقوله ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه**».[3]

■ رابعاً: إجابة الداعي:

والإجابة: تعني تلبية الدعوة للطعام المدعو إليه، فإن كانت وليمة عرس فإجابة الدعوة واجبةٌ إذا كان الداعي مسلماً، فإن كان صائماً تطوعاً فالاستحباب أن يفطر، وهذا من عظمة الدين الذي يجعل إدخال

---

١ أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب.
٢ أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمّت.
٣ أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لا يشمّت العاطس إذا لم يحمد الله.

السرور على القلوب أولى من صيام النافلة! ؛ لقوله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليُجِبْ، فإن شاء طَعِم، وإن شاء ترك**»[1].

■ **خامساً: إفشاء السّلام:**

وفي رواية عند البخاريّ أيضاً: «**وردُّ السلام**»[2]، ويعني: إظهاره ونشره وإشاعته؛ وذلك ممّا يوجِب الوُدّ ويرفع التشاحن، لكن هل يختلف إفشاء السلام عن رده؟

لا مغايرة في المعنى؛ لأنّ ابتداء السلام وردّه متلازمان، فإفشاءُه -ابتداءً- يستلزم إفشاءَه جواباً، والأصل أَنْ يَبْذُلَ السلام لكلّ مسلم؛ كَما جاء في الحديث المتفق عليه: «**وَتَقْرأ السَّلام عَلى مَنْ عَرَفْت وَمَنْ لَمْ تَعْرِف**»[3].

وردُّ السلام فَرْضَ بِالإِجْماع، فانْ كانَ السَّلام عَلى واحِد كانَ الرَّدّ فَرْضَ عَينٍ عَليه، وانْ كانَ عَلى جَماعَة كانَ فَرْضَ كِفايَةٍ في حَقّهِمْ، إِذا رَدَّ أَحَدُهُمْ سَقَطَ الحَرَج عَنْ الباقينَ، ولا تكفي الإشارة باليد عن السلام باللسان.

■ **سادساً: نصرة المظلوم:**

وهنا يتجلى الحسّ الإسلامي، وتترجم الشعارات إلى عمل، فلا يهدأ للمسلم بال وأخوه في الدين والجوار يتعرّض للظلم، كيف لا؟ والأمّة المسلمة جسد واحد إذا اشتكى منه عضوٌ هرعت باقي الأعضاء لنجدته، وهذا الفعل مِنْ فُروض الكِفايَة، ومن جُمْلَة الأَمْر بِالمَعْروفِ والنَّهْي عَنْ المُنْكَر، وانَّما يقوم بِهِ مَنْ قَدِرَ عَليهِ.

■ **سابعاً: إبرار المُقسِم:**

أي جعله بارّاً صادقاً في قَسَمه، وصورته: أن يقول شخصٌ: أُقسم عليك أن تزورني، فالسنّة أن تجيبه إلى طلبه وتبرَّ بيمينه.

وإبرار القَسَم سنّة مستحبةٌ إذا لم يكن فيه مفسدةٌ أو خوفُ ضررٍ، فإن كان شيءٌ من هذا لم يَبَرَّ بِقَسَمِه، فإنْ أقسمَ على أمرٍ محرَّم لم يجز للمُقسَمِ عليه أن يجيب. والحكمة من تلبية القَسَم تعظيم المقسَم به وهو الله عزّ وجلّ، ولئلا يأثمَ الحالف.

---

١ أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة.
٢ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم.
٣ أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل.

وقد تبيّن لنا ممّا سبق أنّ هذه الأخلاق السامية بمثابة المفاتيح للقلوب المغلقة، بها يسمو الإنسان المسلم وبها يبقى الأقوى والمتفوّق على غيره؛ لأنّ مكارم الأخلاق تأسر الآخرين وتحببهم في دين الله، وتُظهِر مدى رفعة المؤمن وعظمته وطهره واستقامته.

إنّ هذه الأخلاق الحميدة قابلة للترجمة كلّ حين وفي كلّ موقف، ومع جميع النّاس، فمن أراد أن يسير على خطى الحبيب ﷺ فها هو الطريق.

يستفاد من الحديث الشريف:

١ استحباب مواساة النّاس.

٢ نشر المحبة، وتوحيد الأمّة من مقاصد الدين الحنيف.

٣ الأخلاق الكريمة من أقوى العوامل تأثيراً في النفس.

٤ كلما عظمت أخلاق المسلم، ارتقى في أعين النّاس.

٥ على المسلم مراعاة حقّ إخوانه في الأمور الواردة في الحديث.

التقويم

١ أترجم لراوي الحديث الشريف.

٢ أوضّح معاني المفردات والتراكيب الآتية:

اتّباع الجنائز، عيادة المريض، إفشاء السلام، تشميت العاطس، إبرار المُقسِم.

٣ متى تكون إجابة الدعوة واجبة؟

٤ أعلل ما يأتي:

أ إفطار الصائم الذي دعي لوليمة أولى من صيامه إذا كان الصيامُ نفلاً.

ب إبرار المقسِم من مكارم الأخلاق.

جـ يُندَب ردّ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف.

د استحباب اتّباع الجنائز.

الدرس
٣٣

مكارم الأخلاق (٢) (شرح)

المحرَّمات من اللباس والزينة

عن البراء بن عازب ﷺ قال: «ونهانا عنْ خواتيمِ الذَّهَبِ، وعنِ الشُّربِ في الفِضَّة -أو قال: في آنيةِ الفِضَّةِ-، وعنِ المَيَاثِرِ، والقَسّي، وعنْ لُبْسِ الحَريرِ، والدّيباجِ، والإستَبْرَقِ»[1].

شرح الحديث:

تحدّثنا في الدرس السابق عن سبعة أعمالٍ حثّنا رسولنا الكريم ﷺ على فعلها؛ لأنّها من مكارم الأخلاق، وفي الحديث نفسه نهانا ﷺ عن سلوكاتٍ سبعٍ وحذّرنا من فعلها؛ لأنّها لا تليق بأهل المكارم، وبالأمّة العظيمة ذات الأهداف العالية الرفيعة النبيلة، ولأنّ هذا الدين العظيم دين الوسطيّة والأخلاق الحميدة، فهو يدعو للتواضع وينهى عن الكِبْر والسَّرَف والمَخْيَلَة، ويُربي أتباعه على أنّهم ضيوفٌ على هذه الأرض، عليهم عمارتها بما يرضيه سبحانه والانتفاع بخيراتها، وأن يتزودوا منها بما يبلغهم المقيل، ويحقّق لهم الهدف النبيل، الذي استُخلفوا من أجله وهو نشرُ الخير وحمايةُ الحقّ، وفيما يأتي بيان لما نهى عنه الحديث الشريف:

خواتيم الذهب:

في قوله ﷺ: **«ونهانا عن خواتيم الذهب»**: يبين الرسول ﷺ النواهي السبع مبتدئة بالتختّم بالذهب، والخواتيم جمع خاتَم، وتجمع أيضاً على خواتم، وفي روايةٍ عن البراء أيضاً: **(حلقة الذهب)** بدل خاتَم، والنهي يفيد التحريم، فلبس خاتم الذهب حَرام عَلى الرجال بالإجماع، وَكَذا لو كانَ بَعْضه ذَهَباً وَبَعْضه فِضَّة، أو كانَ مُمّوهاً بِذَهَبٍ يَسيرٍ، فَهو حَرام على الرجال قليلُه وكثيرُه، ويلحق بالتحريم لبس الإسورة والحَلَق والسلسلة وغيرها من الذهب، ثم إنَّ فيها تشبُّهاً بالنساء، فكلها حرام على الرجال.

ويلحق بالتحريم أيضاً تركيب سنٍّ الذهب للزينة، أمّا إن كان لضرورةٍ وليس له بدائل فيجوز.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، باب آنية الفضة.

■ آنية الفضة:

في قوله ﷺ: «ونهانا عن آنية الفضة» نهي عن الأكل والشرب في آنية الفضة، والنهي يفيد التحريم، ويشمل النهي في السياق الذهب من باب أولى، والتحريم في ذلك عام للرجال والنساء، وسواء أكانت الآنية من فضة خالصة وذهب خالص، أم خلطت بشيء منهما. ومن حِكَم تحريم ذلك أنّ الذهب والفضة من الأثمان والأموال التي لو اتّخذت أغراضاً لقلّت في أيدي الناس؛ فاتخاذ الأواني من النّقدين حبسٌ لهما عن التصرّف الذي ينتفع به النّاس؛ وكذلك لأنّه من باب السَّرف والخيلاء، وكسرٌ لقلوب الفقراء، وفيه تشبّهٌ بالأعاجم الذين كانوا يأكلون ويشربون فيهما بذخاً وبطراً؛ لذا فإنّه مَنْ شربَ فيها في الدنيا عُوقب عليها في الآخرة؛ لقوله ﷺ: **«مَنْ شرب في إناءٍ من ذهب أو فضّة، فإنّما يجرجِر في بطنه ناراً من جهنّم»**[1]. والجرجرة: صوت الجرع المتتابع.

■ المياثر:

والمقصود بالمياثر في قوله ﷺ: «وعن المياثِر»، جَمْع مِئْثَرَة بِكَسْرِ الميم، وَهي: وِطاءٌ وأغشيةٌ كانَتِ النِّساء يَضَعْنَهُ لأَزْواجِهِنَّ عَلى سُروج الخيل، أو رحل البعير، وقد اعتاد العجم على وضعها على مراكبهم، منها ما يكون مِنَ الحَرير، وما يَكون مِنَ الصّوف، ومنها ما يكون من الدّيباج. وَقيلَ: هي شيءٌ كالفِراشِ الصَّغير تُتَّخَذ مِنْ حَرير تُحْشى بِقُطْنٍ أو صوف، يجعلُها الرّاكِب عَلى البعير تَحْته فوق الرَّحْل. ووَثير: أي وَطيءٌ لينٌ، فالمِئْثَرَة إِنْ كانَتْ مِنَ الحَرير كَما هو الغالب فيما كانَ مِن عادَتهم فَهي حَرام؛ لأَنَّهُ جُلوس عَلى الحَرير، واستِعْمال لَهُ، وَهو حَرام عَلى الرِّجال، سواء أكانَ عَلى رَحْلٍ أم سَرْج أم غيرهما، أمّا إن كانت من غير الحرير فهي مباحة.

■ القسي، والحرير والديباج والإستبرق:

قوله ﷺ: «والقَسّي، وعن لُبس الحرير والديباج والإستبرق»:

أي: وممّا نهى عنه أيضاً لُبْس القَسّي، وَهي نِسْبَة إِلى بَلَد يُقال لَها: القَسّ في مِصْر، والقَسّي: ثيابٌ مُضَلَّعَة فيها حَرير؛ أي فيها خُطوط عَريضَة كالأَضْلاع، ليسَتْ حَريراً صِرْفاً، فهي ثياب مَخْلوطَةٌ بِالحَرير، وَقيلَ: مصنوعةٌ مِنْ الخَزّ وقيل القزّ، والتحريم جاء هنا؛ لأنّها من الحرير.

وأمّا لُبس الإِسْتَبْرَق والدّيباج، فَهو نوع مِنَ الحَرير، فَكُلّه حَرام عَلى الرِّجال، سواء أَلبَسَهُ للخيلاء أو غيرها، إِلاّ أَنْ يَلبَسهُ لضرور صحية؛ لما ورد أنّه ﷺ **«رخّص للزبير وعبد الرحمن في لبس الحرير؛ لحكّةٍ بهما»**[2]، فيجوز لبسها لمَنْ به هذا البلاء لأجل الحكة وما في معناها من الأذى، فأفاد ذلك جواز لبس الحرير للرجل الذي به علّة يخفِّفُها لبس الحرير.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس، باب ما يرخص للرجال من الحرير للحكة.

وكل ما سبق من النهي عن لبس الحرير للرجال يقصد به الحرير الطبيعي، أمّا الصناعي فلا يشمله التحريم.

وأمّا النِّساء فيباح لَهُنَّ لُبس الحَرير بجَميع أَنْواعه، وأمّا الصِّبْيان: فيَجوز إِلباسهمْ الحُلي والحَرير؛ لأَنَّهُ لا تَكْليف عَليهِمْ. وكل ما سبق ذكره من إستبرق وديباج وقَسّي هو من أنواع الحرير.

وهكذا يتبين لنا حرص الإسلام على بناء أمةٍ متميّزةٍ في أخلاقها وطعامها وشرابها؛ لتكون خير أمّة أُخرجت للناس.

يستفاد من الحديث الشريف:

١ رسالة المسلم عظيمة بعيدة عن الترف والتمسك بالقشور.

٢ البطر والتكبر من الأخلاق الذميمة التي نهى عنها الإسلام.

٣ الركون للدنيا ومُتَعها الزائلة ينافي الجهاد ونشر الخير.

٤ حرمة لبس الذهب للرجال مهما قلّ.

٥ حرمة الأكل في أواني الذهب والفضة للرجال والنساء.

٦ لُبس الحرير حرام على الرجال.

التقويم

١ أوضح المراد ممّا يأتي: يجرجر، القسّيّ، الديباج، الإستبرق، المياثر

٢ ماذا يلحق بتحريم خواتيم الذهب على الرجال؟

٣ أعلّل ما يأتي:

أ تحريم لُبس الذهب على الرجال.

ب تحريم لُبس القسّيّ من الثياب.

ب تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة.

٤ أعدد أربعة أمور نهى عنها الحديث الشريف.

٥ أذكر الحكم الشرعي فيما يأتي:

أ رجل به علة في جلده لبسَ الحرير.

ب ركَّب رجلٌ سنّاً من ذهب.

٦ أذكر ثلاثة دروس مستفادة من الحديث الشريف.

الدرس
٣٤

التحذير من الفِرَق الضالّة (شرح)

عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «تفرقتْ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فِرْقةٍ، أو اثنتين وسبعينَ فِرقةً، والنصارى مثلُ ذلك، وتفترقُ أمتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقة»[1].

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف من معجزات النبي الأمي ﷺ؛ لأنّه أخبر عن غيب وقع.

قوله ﷺ: **«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة» شك من الراوي، ووقع في حديث عبد الله بن عمرو**[2]: **«وإنّ بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملة»، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار، إلا ملة واحدة»، قال: ومن هي يا رسول الله؟! قال: «ما أنا عليه وأصحابي»**.

قوله: «والنصارى مثل ذلك»: أي: أنّهم أيضاً تفرقوا على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة.

قوله ﷺ: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»: المراد من (أمتي) أمة محمد ﷺ، وهم المسلمون، وفي حديث عبد الله بن عمرو المشار إليه آنفاً: **«كلهم في النار إلا ملة واحدة»**.

المراد بالفِرَق الضالة المذمومة:

قصد النبي ﷺ بالذم في هذا الحديث مَنْ خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب؛ لأنّ المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضاً.

ولا يدخل في هذه الفرق المذمومة الاختلاف الفقهي الذي حدث بين علماء المسلمين في فروع الفقه وأبواب الحلال والحرام؛ كالخلاف بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، وغيرهم.

وكذلك لا يدخل في هذا الباب الخلاف الفكري والسياسي الذي يحدث بين جماعاتٍ من المسلمين؛

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة. وقال ابو عيسى الترمذي: وفي الباب عن سعدٍ، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

٢ المصدر نفسه، ح رقم (٢٦٤١)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، لا تعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

كالخلاف في الأولويات التي ينبغي للمسلمين اتّباعها، وما هي أولى السبل لإعادة الإسلام لحياة الأمة، كما هو الحال اليوم.

والخلاف هنا هو خلاف في الفروع، وليس فيه تكفيرٌ ولا تفسيق لبعضهم البعض، وإنّما هو خلافٌ في وجهات النظر من أجل خدمة الإسلام، وليس خلافاً في العقائد.

وقد بدأ ظهور الفُرقة في أواخر عهد الصحابة ﷺ، حيث بدأت بعض الفرق المنحرفة بالظهور؛ كالشيعة والخوارج والقدرية وغيرهم، ثمَّ اتسع الخلاف بعد ذلك شيئاً فشيئاً إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية. وفي رواية عبد الله بن عمرو المشار إليها آنفاً: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**»[1]؛ أي: إلا أهل ملةٍ واحدة هي الناجية، وهي ما عليه رسول الله، ﷺ وأصحابه، كما بيّن الحديث ذلك.

■ الفرقة الناجية والفرقة الضالة:

يبرز الحديث الشريف الخط الواضح لأمَّة الإسلام، وهو خط أهل السنَّة والجماعة، وهي الفرقة الناجية التي تتمسك بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، وتفهمها كما فهمها السلف الصالح من الصحابة الأوائل والتابعين السائرين على طريقهم، ويحذّر من كل الفرق التائهة المنحرفة التي خرجت عن الخط القويم، فغيَّرت وبدَّلت، وأوَّلت النصوص الشرعية بطريقةٍ بعيدةٍ عن المنطق السليم والفهم الصحيح، إشباعاً لرغبات الأفراد وأهوائهم، فضلَّت وأضلَّت، وقد عرف التاريخ الإسلامي الكثير من هذه الفرق؛ كبعض فرق الشيعة التي غَلَتْ في أهل البيت وناصبت غيرهم من الصحابة والمسلمين العداء، وكالخوارج الذين خرجوا على الإمام علي ﷺ، فكفَّروه هو ومَنْ سار على منهجه القويم، وكالمعتزلة والقدرية والمرجئة والجبرية وغيرهم كثير، وقد وصل تعدادها إلى اثنتين وسبعين فرقة، كما عدَّها بعض العلماء وهذا مطابقٌ لما أخبر به النبي ﷺ عن عدد هذه الفرق الضالة، وهذا الأمر من معجزات الغيب، حيث أخبر النبي ﷺ عن غيب المستقبل، الذي سيحدث فيه هذا الخلاف والفُرقة، فكان كما أخبر ﷺ.

والمسلم الذي يريد الحق هو الذي يسير على خُطا الرعيل الأول الذي لم يغيِّر ولم يبدِّل، ونهل من النبع الصافي، من فم النبي ﷺ، وتربى على يديه، وعاش في كنف توجيهاته ﷺ.

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة.

ما يستفاد من الحديث الشريف:

١ إخباره ﷺ بافتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وهو من علامات نبوته ﷺ.

٢ أهل السنة والجماعة الذين على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه هم الفرقة الناجية، الفائزة بالجنة بفضل الله.

٣ نجاح الأمة الإسلامية وصلاحها وفلاحها في الدنيا والآخرة في اتّباع رسول الله ﷺ.

٤ تحذير الأمة من الفرق الضالة.

التقويم

١ أوضح المراد بالفرق الضالة (المذمومة).

٢ أذكر أربعاً من الفرق الضالة.

٣ أبين مصير الفرق الضالة، ومصير الفرقة الناجية.

٤ مَنْ هم أصحاب الفرقة الناجية؟

٥ أذكر أربع فوائد مستفادة من الحديث الشريف.

الدرس
٣٥

فضل بلاد الشام (شرح)

عن ابن عمر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ باركْ لنا في شامِنَا، اللهمَّ باركْ لنا في يمنِنَا، قالوا: وفي نجدِنَا؟ فقال: اللهمَّ باركْ لنا في شامِنا، وباركْ لنا في يمنِنَا، قالوا: وفي نجدِنَا؟ فقال: اللهمَّ باركْ لنا في شامِنَا، اللهمَّ باركْ لنا في يمنِنَا، قالوا: وفي نجدِنَا؟ قال: هنالكَ الزلازلُ والفتنُ، وبها أو قالَ: منها يخرجُ قرنُ الشيطانِ»[1].

شرح الحديث:

هذا الحديث فيه بيان لفضل الشام واليمن، حيث يكرر النبي ﷺ فيه الدعاء لهما ثلاث مرات، وهذا الدعاء بالبركة دليل على الأفضلية والأهلية لبلاد الشام واليمن.

إن هذا الدعاء الشريف عن النبي ﷺ يعطي الشام ميزةً خاصةً وشرفاً لا يضاهيه شرف، وهذا يعطي أهل الشام حافزاً ودافعاً للعمل والالتزام والتضحية، حين يعلمون مدى الشرف العظيم المكتسب بانتسابهم لبلاد الشام التي خصها الله بالبركة والفضل.

ما المقصود ببلاد اليمن؟

اليمن بلد معروف وحدوده في ذلك الزمان من عُمان إلى نجران، ومن بحر العرب إلى عدن، وكان النبي ﷺ يحب اليمن وأهلها حباً خاصاً، ولذلك ورد في الحديث «الإيمان يمان، والحكمة يمانية»[2]، وهذا فيه إشارة إلى تفضيلهم ومدحهم، والسبب في ذلك إذعانهم إلى الإيمان من غير كبير مشقة بخلاف غيرهم من البلدان، وسميت اليمن يمناً؛ لوقوعها على يمين الكعبة، وقيل: لِيُمْنِها.

ما المقصود ببلاد الشام؟

أمّا الشام فالمؤرخون والرواة القدامى كانوا يطلقون لفظ الشام على الرقعة التي تشغلها الآن سوريا

---

١ أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق»، والترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

ولبنان والأردن وفلسطين، تلك بلاد الشام على مدى تاريخ طويل، ولم يتم تقسيمها سياسياً إلى دول أربع إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية (سايكس-بيكو)، وسميت الشام بهذا الاسم؛ لوقوعها على شمال الكعبة.

ونجد أنّ كثيراً من الأحاديث تتكلم عن فضائل هذه البلاد وقيمتها، وبخاصة فلسطين وبيت المقدس التي ستقع فيها أحداث عظام، وعلى ثراها يحسم أهم خطر يتهدد هذا الدين عبر الأزمان، وهو خطر الدجال، وما يتبعه من خروج يأجوج ومأجوج، وقبل ذلك كله هي أرض الحسم بالنسبة للاحتلال الجاثم على أرضها، وخلاص هذا البلد الطيب من شر هذا الاحتلال.

■ مظاهر البركة لبلاد الشام:

دعا النبي ﷺ ربه أن يبارك في أرض الشام واليمن، وكرر الدعاء ثلاثاً، ولأنّ النبي ﷺ له حَظْوَة عند ربه، والله تعالى لا يخيب رجاءه ولا يردُّ دعاءه، فقد جعل الله البركة في هذه الأرض المقدسة، **ومن مظاهر هذه البركة:**

١ **بسط الملائكة أجنحتها على الشام:**

ففي الحديث الشريف قال ﷺ: «**طوبي للشام، فقلنا لأي شيء ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**»[١].

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: أشار رسول الله ﷺ إلى أنّ الله سبحانه وتعالى وَكَّلَ بها الملائكة، يحرسونها ويحفظونها...، وأنّهم في كفالة الله تعالى ورعايته.

٢ **الشام خيرَةُ الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده:**

وذلك واضح في قوله ﷺ: «**عليكم بالشام، فإنّها صفوة بلاد الله عزّ وجلّ يُسكِنُها خيرَتَه من خلقه... فإنّ الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله**»[٢]، والحديث يشير إلى أنّ بلاد الشام هي خيرة أرض الله وصفوتها، وتَكَفُّلُ اللهِ تعالى للشام وأهلها يعنى أنّ الله لن يضيعهم وأنه يحميهم من أعدائهم، وهذه الحماية والتكفل سَتَقْلِبُ الموازين، والعاقبة في النهاية هي النصر للمؤمنين، وبلاد الشام تبقى حصناً للإسلام وقلعةً للإيمان.

٣ **احتضان بلاد الشام للمسجد الأقصى، وهو من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال:**

قال ﷺ: «**لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي، والمسجد الأقصى**»[٣].

---

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن. وقال: هذا حديث حسن غريب.
٢ أخرجه الطبراني في الكبير، (٢٢ \ ٥٨) رقم (١٣٧، ١٣٨)، وحكم عليه الشيخ الألباني بالصحة.
٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس.

■ **مغفرة الذنوب بزيارة بيت المقدس:**

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ : «. . **أنّ سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خِلالاً ثلاثة : سأل الله عز وجل حكماً يصادف حُكمهُ، فأوتيه، وسأل الله عز وجل مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد، لا يِنْهَرُه إلاّ الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيومِ ولدتْه أمه**»[1] .

ومظاهر البركة وفضائل الشام كثيرة، فبالإضافة إلى ما ذكر، فهي أرض المحشر والمنشر، والصلاة في المسجد الأقصى مضاعفة، وأهل الشام هم ميزان الصلاح للناس، فإذا فسد أهل الشام فلا خير في الناس. . . إلخ .

قوله ﷺ عندما سألوه : وفي نجدنا؟قال : هنالك الزلازل والفتن، وبها أو قال : منها يخرج قرن الشيطان : أصل كلمة نجد هو ما ارتفع من الأرض، قال الخطابي : نجد من جهة المشرق، ومَنْ كان بالمدينة كان نَجْدُهُ بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وقيل تشمل الحجاز والعراق .

والحديث يبين أنّ الصحابة رضي الله عنهم حاولوا أن يَعْرِفُوا : هل دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام واليمن يمكن أن يمتد ليشمل نجد (أي جهة المشرق والعراق)؟ وكرروا السؤال ثلاث مرات، دون أن يدعو النبي ﷺ لنجد بالبركة، وعلّل ﷺ ذلك بأنّ تلك المنطقة هي أرض الزلازل والفتن .

والزلازل التي أخبر النبي ﷺ عنها هي زلازل ستحدث مستقبلاً، أمّا إخباره ﷺ عن الفتن فهي إشارة إلى ما سيحدث في تلك المنطقة من اضطرابات وفِتَنٍ وبِدَعٍ كثيرة، وقد ذكر ابن حجر كلاماً عن بعض العلماء : «كان أهل المشرق يومئذٍ أهل كفر، فأخبر النبي عليه السلام أنّ الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفُرقة بين المسلمين؛ وذلك ممّا يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة»، وهذا الكلام فيه إشارة إلى الفتن التي حدثت جهة العراق وفارس، وظهور الفرق والمعتقدات الغريبة عن روح الإسلام النقي كما فهمه أهل السنة والجماعة؛ كظهور التشييع والمعتزلة والشعوبية وغيرها؛ ما أدى إلى خلاف وفُرْقَةٍ فكرية وعقدية خطيرة .

أمّا قوله ﷺ : «**ومنها يخرج قرن الشيطان**»، فهو مرتبط بما سبق، فالشيطان هو أساس الشر والفُرْقة بين المسلمين، وقرن الشيطان هنا تعبير مجازي يراد به قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال .

وترك النبي ﷺ الدعاء لأهل نجد؛ ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن، ولعل ذلك يكون رادعاً لهم عن الشر .

---

١ أخرجه النسائي في سننه : كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، والحديث صحيح .

ما يستفاد من الحديث الشريف:

١ الشام أرض البركة، خصها الله تعالى بالعديد من الفضائل.

٢ حب النبي ﷺ للشام واليمن، ودعاؤه لهما.

٣ إخبار النبي ﷺ عن الغيبيات؛ كحديثه عن الفتن التي تقع جهة المشرق.

٤ بيت المقدس والمسجد الأقصى قلب الشام.

٥ الشيطان أساس الشر ومحرك الفتن والنزاعات.

التقويم

١ أُوضح المقصود بالبلدان الآتية: الشام، اليمن، نجد.

٢ أذكر ثلاثة من مظاهر البركة لبلاد الشام.

٣ أذكر حديثاً شريفاً يبيِّن فضائل اليمن.

٤ أذكر ثلاثاً ممّا يستفاد من الحديث.

٥ أعلل ما يأتي:

أ تسمية اليمن بهذا الاسم.

ب تكرار الدعاء لأهل الشام واليمن.

جـ ترك النبي ﷺ الدعاء لأهل نجد.

الدرس
٣٦

فَضْلُ الذِّكر (شرح)

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَلا أُنبِّئُكُمْ بخيرِ أعمالِكُمْ، وأزكاها عندَ مليكِكُمْ، وأرفَعِها في درجاتِكُمْ، وخيرٌ لَكمْ مِنْ إنفاقِ الذَّهبِ والفِضَّةِ، وخيرٌ لكُمْ مِنْ أنْ تلقَوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهمْ، ويَضرِبوا أعناقَكمْ»، قالوا: بلى، قال: «ذِكْرُ الله تعالى»[1].

راوي الحديث:

أبو الدرداء، صحابي جليل اشْتُهِر بكنيته، واختلف في اسمه فقيل: عُويمر وقيل: غير ذلك، كان تاجراً قبل البعثة، ثمّ زاول العبادة والتجارة، فآثر العبادة وترك التجارة، كان فقيهاً عابداً عالماً قارئاً للقرآن، هو أحد الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل أصحابه أن يأخذوا عنهم العلم، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، توفي سنة ثلاث وثلاثين بدمشق.

شرح الحديث:

إنّ من مقاصد هذا الدين تحقيق مصالح العباد ونفعهم، وعمل كل ما يحقق لهم الراحة والرضا وهدوء البال، وحيث إنّ قمة السعادة تتحقق في الهداية والاطمئنان، فقد حثنا الإسلام العظيم على الذكر الدائم لله؛ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة: ١٠، وقال جلّ شأنه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨، ولولا أنّ في الذكر والتضرع وقراءة القرآن اطمئناناً للنفوس والقلوب، وعلاجاً للتوتر والضيق الذي يصيبنا من وساوس الشيطان وضغوطات الحياة، وغسيلٌ دائم من الذنوب التي تلتصق بهذا القلب كلّ لحظة، لَمّا أمرنا الله عزّ وجلّ بالتكرار الدائم للأذكار ليلاً ونهاراً، ولمّا علَّمنا لكل حادثةٍ وواقعةٍ أدعيةً خاصّة.

والذِّكْرُ مَنْدوبٌ إليه لقول اللهِ تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٢.

وَذَمَّ اللهُ تَعالى المُنافقينَ بقِلَّة ذكرهم له سبحانه؛ فقال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٤٢.

قوله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم**»:

---

١ أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، وقال الألباني: صحيح.

بدأ الرسول ﷺ حديثه بهذه الصيغة التي تلفت الانتباه، وتشدّ الأسماع لما بعدها، حيث بدأ بصيغة من صيغ التنبيه، كيف لا والحديث يدور حول أفضل عملٍ يمكن للمسلم أن يؤديه على الإطلاق؟ فما هذا العمل الذي لا يضاهيه عملٌ أبداً؟ ولا يوجد عملٌ أزكى منه، ولا أرفع، إنّه عملٌ أفضل في أجره من إنفاق الذهب والفضة، وأفضل من الجهاد في سبيل الله، وأفضل من ضرب أعناق الكفار بالسيوف.

إنّه ذكر الله تعالى، فيا للعجب! الذكر البسيط الذي يستطيعه كل إنسان، صغيراً كان أو كبيراً، وعلى أيّة حال من الأحوال هو أفضل من كلّ الأعمال الصالحة.

والنبأ: هو الخبر الذي له شأن عظيم، كيف لا وهو يجعل هذا العمل أفضل أعمال المؤمنين وأطهرها وأنماها وأكثرها بركة عند الله عزّ وجلّ.

ولم يقتصر الحديث الشريف على أنّها أفضل الأعمال، بل زاد على ذلك بقوله ﷺ: «**وأرفعها في درجاتكم**»؛ وذلك في الدنيا بارتفاع شأن صاحب هذا العمل في قلوب الناس للنور الذي يغشاه، والطهر الذي يتّسم به والهيبة والتوقير الذي له في القلوب، وفي الآخرة علو الشأن والمنزلة والدرجة الرفيعة.

قوله ﷺ: «**وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة**»:

كما عدّ الرسول الكريم ﷺ أنّ ذكر الله أفضل في أجره للإنسان من إنفاق الذهب والفضة طاعة لله وطمعاً في رضاه، على غلاء سعر هذين المعدنين الثمينين اللذين يعتبران أُصولاً للأموال، مع حبّ النفس البشريّة لهما. فمَنْ صفت نفسه وطابت حتى وصلت لدرجة إنفاق الذهب والفضة فهو في منزلة عالية، غير أنّ الذاكر لله أعظم منزلة.

قوله ﷺ: «**وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم**»:

ونحن نعلم أهميّة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فهو الذي يحمي بيضة الأمّة وهيبتها وعقيدتها، ويدفع عنها العدوان ويحقق عزّ الأمّة وكرامتها، ومع هذا فقد فضّل الرسول الكريم ﷺ ذكر الله على الجهاد أيضاً.

■ حقيقة الذكر:

إنّ ذكر الله الكامل هو الذي يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب مع التفكر في المعنى، واستحضار عظمة الله تبارك وتعالى، فذكر الله المفضل على جميع الأعمال الصالحة هو ما نعرفه من تسبيح وحمد لله وتكبير وتهليلٍ وحوقلة، وغير ذلك من الأذكار التي تمجد الله عزّ وجلّ، فالمطلوب أن يقوم العبد بحقّ هذه

الكلمات، فيستحضر معانيها بقلبه، ويتأملها بفهمه، وتتضح له معانيها ويعرفها حقّ المعرفة، حتى يصل بها إلى علم اليقين، وهذا ما يسمَّى الإحسان في الذكر، والذي هو أعظم العبادات.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى ضرورة أن تُصقل شخصيّة المتصدّق، والمجاهد في سبيل الله، وتوطَّنَ على ذكر الله تعالى والعيش في معيّته، حتى يزكُوَ عملُه وتطيب نفسه، وتعلو درجته، فبالذكر تحيا القلوب والنفوس، ولذا فهو أكبر في تأثيره في إصلاح العباد من كلّ شيء؛ قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الذي يذكرُ ربه والذي لا يذكر ربه، مَثَلُ الحيِّ والميت**»[1]، فقد شبَّه الرسول ﷺ الذي يذكر الله بالإنسان الحيّ الذي تسري فيه الروح المتمثلة بحياة كلّ جارحة من جوارحه. أمّا الذي لا يذكر الله، فحاله كحال الميت الجامد الذي لا حراك فيه، ولا فائدةَ تُرْجى منه.

والدليل على أنّ كثرة الذكر هي التي تحيي القلوب والجوارح قوله ﷺ: «**سبق المفرّدون، قالوا: وما المفرّدون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»[2]، ومعنى (المفرّدون)؛ أي: الذين انفردوا بأمرٍ وجعلوه شغلهم الشاغل.

وهكذا نصل لخير عملٍ على الإطلاق، حين تنصهر جوارحنا بحبّ الله وذكره، وإنّ الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ في كلّ جانب من جوانب الحياة كثيرةٌ، وخير هذه الأدعية ما كان وارداً في كتاب الله والسنّة الصحيحة عن رسوله ﷺ.

وقد رَتَّبَ الشّارِعُ كَثيراً مِنَ الأَذْكارِ في أَحْوالٍ مُخْتَلِفَة:

١ مِنْها أَذْكارٌ مُرَتَّبَةٌ بِحَسَبِ الزَّمانِ؛ كَأَذْكارِ الصَّباحِ والمَساءِ والظَّهيرَةِ وَدُخول الشَّهْرِ وَرُؤْيَةِ الهِلال.

٢ وَمِنْها أَذْكارٌ بِحَسَبِ المَكانِ؛ كأذكار دخول المسجد والسّوق والخلاء.

٣ ومِنْها أَذْكارٌ في العِباداتِ؛ كَأَذْكارِ الصَّلاةِ، والصّوم.

٤ وَمِنْها أَذْكارٌ مُرَتَّبَةٌ للأَفْعال والأَحْوال؛ كَأَذْكارِ النّوم، وأَذْكارِ الأَكْل والشُّرْب، وَكَأَذْكارٍ تُقالُ عِنْدَ التَّطيرِ والتَّشاؤُم، وَعِنْدَ الكَرْبِ والشِّدَّة، وَعِنْدَ السَّفَرِ والنُّزول، وغيرها.

■ فضل مجالس الذكر:

إنّ أهل مجالس الذكر يباهي بهم اللهُ ملائكته وتحفّهم الملائكة؛ لقوله ﷺ: «**ما من قوم يذكرون الله إلا حفّت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمَنْ عنده**»[3]، وذكر الله

١ أخرجه البخاري: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل ذكر الله.
٢ أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل ذكر الله.
٣ أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء، وقال: حسن صحيح.

نعمة كبرى ومنحة عظمى به تستجلب النعم، وبمثله تُستدفع النقم، وهو حياة الأرواح، ما أشد حاجة العباد إليه، فالمسلم لا يستغني عنه بحال من الأحوال.

ولا ريب أنّ القلب يصدأ كما يصدأُ الحديد وجَلاؤه بالذكر، فإنّه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تَرك الذكرَ عاد له الصدأ.

يستفاد من الحديث الشريف:

١ فضل الذكر على كلّ عمل من أعمال الخير.

٢ ذكر الله يكون بالتسبيح والحمد والتكبير والتهليل، وكل ما يندرج تحت هذا الباب.

٣ الإنفاق في سبيل الله عمل عظيم لا يصدر إلا عن نفس وُطّنت على محاربة الشحّ.

٤ الجهاد في سبيل الله فيه أقصى درجات التضحية بالنفس والنفيس.

٥ الذكرُ حياة الأرواح، وجلاء القلوب، وصفاء النفوس.

التقويم

١ أترجم لراوي الحديث الشريف.

٢ كيف يكون ذكر الله أفضل عمل صالح على الإطلاق؟

٣ ما أفضل أنواع الذكر؟

٤ للذكر أحوال عديدة، أذكر أربعاً منها.

المصادر والمراجع

١ ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن زيد الربعي القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢ أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ضبط عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية في المدينة المنورة.

٣ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٤ أحمد بن حنبل (ت: ٢٤هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار، والدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥ الإمام مالك، موطأ الإمام مالك بن أنس، (ت: ١٧٩هـ) دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٦ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرباط، السعودية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٧ البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، المكتبة الإسلامية، حمص –سوريا، ١٣٨٨هـ، ١٩٩٦م.

٨ الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩ الحموي، ياقوت (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٠ الزرقاني، أبو عبد الله، محمد بن عبد الباقي(ت: ١١٢٢هـ)، شرح موطأ الإمام مالك، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

١١ السبكي، محمود محمد خطاب، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

١٢ صالح، محمد أديب، لمحات في أصول الحديث، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان.

١٣ الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير (ت: ١١٨٢هـ)، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٦٦هـ.

١٤ عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٥ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر.

١٦ العيني، بدر الدين، أبو محمد محمود بن حمد (ت: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٧ القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق وتعليق: محمد بهجت البيطار، دار إحياء الكتب العربية، لعيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.

١٨ المباركفوري، أبو العلي، محمد بن عبد الرحمن (ت: ١٢٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ضبط وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٧٩م.

١٩ النَّسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروتن لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٠ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

٢١ الوشناني، أبو عبد الله، محمد بن خلفة الوشناني الأبّي (ت: ٨٢٨هـ)، صحيح مسلم مع شرحه المسمى «إكمال المعلم» ، وشرحه المسمى « مكمل إكمال المعلم»، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن يوسف السنوسي الحسيني(ت: ٨٩٥هـ).

٢٢ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، إخراج وتنفيذ فريق بيت الأفكار، والدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

تم الكتاب بحمد الله